اللغة

هوية ناطقة

د. عبدالله البريدي

كتاب
المجلة
العربية
197

اللغة هوية ناطقة

منظور جديد يمزج اللغة بالهوية والحياة

د.عبدالله البريدي

رئيس التحرير

د. عثمان بن محمود الصيني

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: **4778990** - **4779792** فاكس: **4766464**
ص.ب **5973** الرياض **11432**
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com

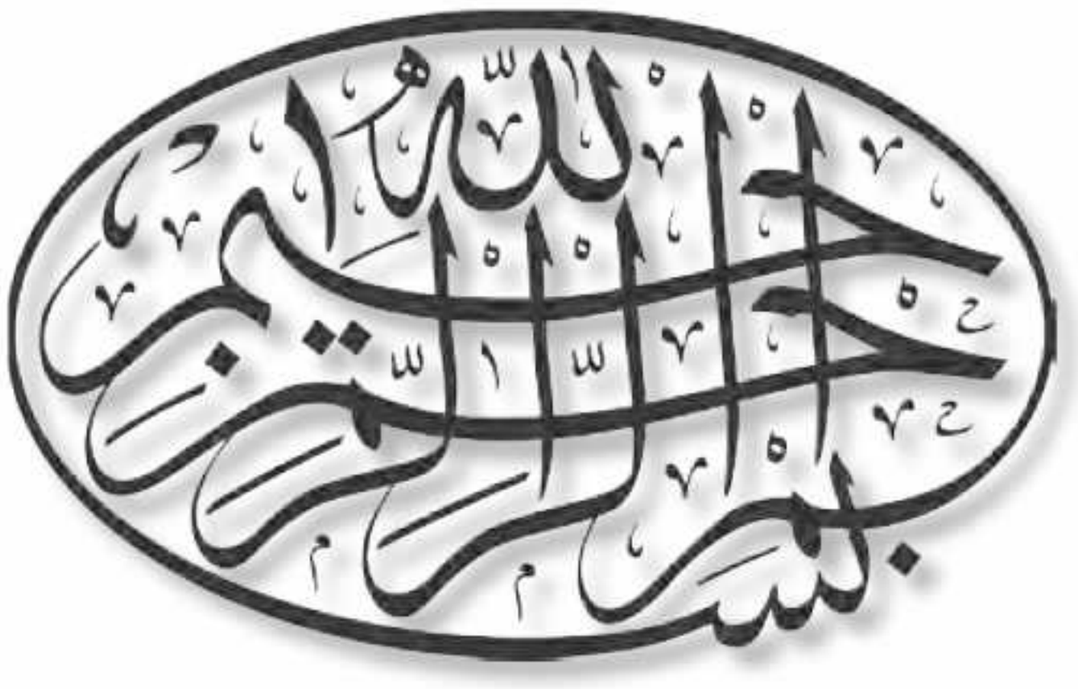
بسم الله الرحمن الرحيم

ح المجلة العربية، 1434هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البريدي، عبدالله

اللغة هوية ناطقة: منظور جديد يمزج اللغة بالهوية والحياة./ عبدالله البريدي.- الرياض، 1434هـ

132 ص، 21x14 سم

(سلسلة كتاب المجلة العربية؛ 197)

ردمك: 4_96_8086_603_978

1. اللغة العربية – ألفاظ 2. اللغة العربية – اشتقاق أ.العنوان ب. السلسلة

ديوي 418 3370 / 1434

رقم الإيداع: 1434/3370

ردمك: 4_96_8086_603_978

المحتوى

- **مقدمة** 7

- **الفصل الأول**
نحو مزج اللغة بالهوية 17

- **الفصل الثاني**
انتهاكات هويتنا الناطقة 37

- **الفصل الثالث**
معيقات هويتنا الناطقة 55

- **الفصل الرابع**
تعزيز هويتنا الناطقة في مسارات مختارة 89
خاتمة 119

مقدمة

هل نحن لغتنا؟ ولمَ؟ وكيف؟

أصائب ما كان يقوله الرسَّام الألماني–السويسري بول كلي (1879–1940): (أنا هو أسلوبي)[1]؛ أم الصواب العكس: (أسلوبي هو أنا)، (اللغة والنحن: مَنْ يشكِّل مَنْ؟)، أم أنهما رأيان سديدان، معاً، بوجه أو بآخر، أو لسبب أو لآخر؟ أم أنه لا فرق أصلاً بين هذا وذاك، وأن تَلمّس الفرق لا يخرج عن كونه فذلكة لغوية وتلاعباً بالكلمات، لا أكثر، وربما أقل؟

في العام الماضي، عَقَدَ مركز عربي مؤتمراً علمياً رفيع المستوى، من جهتي الأبحاث المقدمة والحضور النخبوي، حيث شارك في الأوراق البحثية والنقاش عدد من العلماء والمفكرين والباحثين من أقطار عربية شتى ومن جامعات عربية ودولية متميزة، وقد أُريد له أن يكون في مسارين: مسار عن اللغة والهُوية، وآخر عن التنمية المستدامة ومعوقاتها. وقد استرعى انتباهي، أن الحضور والتفاعل والنقاش كان أكبر في باحة (اللغة والهوية)، ولقد كان الفارق صاعقاً في مستوى اللغة المتداول في باحتي المؤتمر، فباحة التنمية رُزيت بلغة عربية مُكسَّرَة مشوَّهة، وغُيّبت العربية لا في الساحة الاصطلاحية فحسب، بل حتى في استعمال الكلمات العادية، فبعض الباحثين العرب القادمين من أقطار عربية كانوا –مثلاً– لا يقولون (فاصلة)، بل: Comma، ولا يقولون: (سطر) بل: Line، وهكذا. والمشهد السابق جعلني أخمّر في نفسي قولاً مفاده: أيها العرب، أليس هذا مؤشراً

(1) انظر: حيزم (2007)، من الهوية الجماعية إلى الهوية الفردية، ص 75.

على أنه لا تنمية عربية قبل حل المشكل اللغوي الثقافي؟ أم أنه لا ارتباط بين التنمية واللغة/الهوية؟

هـذا كتاب صغـير متواضع في مسألة معقدة متشابكـة، قديمة متجددة: (اللغة والهوية). شبّـه أحدُ الباحثين العرب المشتغلَ على تلك المسألة كمَنْ (يتحرك في حقلٍ من الألغام)[1]. ويجيء هذا الكتاب في سياقٍ (يهيمن على المشهد اللغوي العربي تعددُ لغويّ ولهجيّ على كافة الواجهات؛ مما يجعل اللغة العربية في ظل هذا الوضع، تعيش حالة من الانحسار وانعدام الوظيفية وغيـاب التداول)[2]. وهذا الكتاب، اخترت له أن يكون مزيجاً بين الطرح الأكاديمي والفكري، ومن هنا فقد توسلت بعدد كبير من الأبحاث النظرية والمفاهيميـة والدراسات التطبيقيـة والكتب والمقـالات، وحرصت على المزاوجة بين العديد مـن الأساليب في الطرح والتناول للمسائل والمباحث –ومن ذلك الأسلوب السردي– للوفاء بمقومات هذا النهج المهجّن، الذي ينتـج فرصةً وتهديداً، فرصةً بتوسيع شريحة قرّاء هذا الكتاب، وتهديداً بأن يكـون (بين بين)، ومن ثم لا يرضي أحـداً، ولا يشبع نهماً. ولست أدري هل الغلبة للفرصة أم للتهديد؟

هـذا، وتدفعنـي (عقيدتي المنهجيـة) في العلوم الاجتماعيـة والإنسانية –ومن ضمنها ما يتعلق بفقه التحيز[3]– إلى الكشف (الاختياري) عن بعض أجزاء خارطتي الذهنية أثناء اشتغـالي في الإعداد لهذا الكتاب، وسأجعلها

---

(1) برهومة (2012)، اللغة والهوية.. جدل الثابت والمتحول، الملخص التنفيذي، ص 3.

(2) الرّواعي (2012)، اللغة الوطنية والتعدد اللغوي، الملخص التنفيذي، ص 1.

(3) بمـا يقتضيه مـن تعرية أكبر قدر ممكن من التحيزات المعرفيـة والمنهجية والعلمية والفكرية التـي يتلبس بها الباحث، ليكون القارئ على بينة من الأمر، والخلوص من ثم إلى قبول أو رفض ما يُطرح.

في نقــاط أرجو أن يكون فيها قدر كافٍ مــن الشفافية المنهجية والفكرية، والتسلسل المنطقي أيضاً:

أولاً: أنــا من المقرين بضخامة تأثير اللغة في حياتنا، من حيث نشعر أو لا نشعــر، نعترف بــه أو لا نعترف، وهنا أستدعي مقولــة عالم الأنثروبولوجيا (ميسيالانــدو) الذي يشدِّد علــى أن الثورة العلميــة في الدراسات اللغوية الحديثــة تكمن (في الإقــرار بأن اللغة ليست مجرد وسيلــة لتوصيل الأفكار عــن العالم، بل أداة لجعل العالم موجوداً في المقام الأول. ليس الواقع ببساطة معاشاً أو معكوساً في اللغة، بل هو بالفعل محدث بواسطة اللغة) [1].

ثانيــاً: وأنا من المؤمنين –كما يعبر نبيــل علي– بأن المجتمعات تنحط مع لغاتهــا وبلغاتها[2]، كما أنني أحد أولئك الــذي يقطعون بأن ثمة مهددات متزايــدة للغة العربية، وبــأن أشرسها تلك التي تتأتى مــن قبل بعض العرب أنفسهــم، إذ نشهد حالة من (الردة اللغوية) لدى شرائح اجتماعية في عالمنا العربــي، ســواء بالاستخدام غير المبرر للعاميــات والرطانات في مواضع لا يصلــح لها إلا العربية الفصيحة، أو بإقحــام الكلمات الأجنبية وحقنها في الجسد اللغوي للعربية دونمــا حاجة. بعبارة أخرى، اللغة العربية مُهدَّدَة بل هــي متعرضة واقعاً لما يمكن أن يُوصف بـ(الغصــة اللغوية)، والتي تشير إلى ظاهــرة ابتلاع كم هائل من الكلمات الأجنبية بلا مضغ خلال فترة قصيرة

(1) انظر: العجمي (2007)، دور اللغة في التنميط والتعصب للهوية، ص 12.
(2) علي (1994)، العرب وعصر المعلومات، ص 347.

(التدخل اللغـوي[1])، دون أن تتوافر اللغة العربية على ما يدفع هذه اللقمة بسلام كي تصل إلى قنوات الهضم (الاقتراض اللغوي السليم)، وهذا يعني أننـا قبالة ليس مجرد (غضة لغوية) فحسب، بـل (تلبك لغوي حاد)، وربما ساءت الحالـة واحتيج إلى استئصال بعض الأجـزاء (إماتة كلمات عربية). هـذا واقع محسوس، وسأشير إلى دراسات وأبحـاث تعضد هذه الملاحظة الافتتاحيـة الخطيرة، مع التأكيـد على أن هذا اللون مـن (الازدراد اللغوي البائس) يتمرد على كثـير من الاعتبـارات المنهجية التـي وضعها العلماء للاقتراض اللغوي والتعريب بكافة أشكالهما وأساليبهما وقنواتهما، وأشير إلى مـا يقـرره البعض (من أن كل معنى يجـول في الذهن لا بد أن يكون له لفظ في اللغة العربية ولو كان كامناً في أغوار معاجمها)[2].

ثالثـاً: وأضيف لبنة إيمانية لغوية أخرى، حيـث إنني من الذين لا يؤمنون -دوغمائياً- بوجـود (ضمانة إلهية مطلقة) لحفظ اللغة العربية على نحو تلقائـي، فالآيـة القرآنية الكريمـة (إنا نحن نزّلنـا الذكر وإنا لـه لحافظون) (الحجـر: 9) لا تفيد البتة مثل ذلك الحفظ التلقائي، وعلى هذا فإنني أدرج نفسـي في عداد الذين يؤمنون بضـرورة (النضال اللغوي) عبر تحرك علمي إستراتيجـي لحماية اللغة العربية وهي اللغة الوحيـدة التي عمّرت قرابة 17

---

(1) (التدخـل اللغوي) يشير إلى ظاهرة غزو اللغة المهيمنة بكلماتها وأساليبها في اتجاه واحد، بخلاف (التداخل اللغوي) الذي يعني التأثير المتبادل للغتين قويتين، وقد شبّه أحد الباحثين التدخل اللغوي بحركة الرياح من المنطقة عالية الضغط إلى المنطقة منخفضة الضغط، انظر: الخولي (1989)، تأثير التدخل اللغوي في تعلم اللغة الثانية وتعليمها.

(2) محمـد جميل الخاني في مجلـة المجمع العلمي العربي بدمشق، نقـلاً عن: الضبيب (2001)، اللغـة العربية في عصر العولمة، ص 92.

قرناً في حقيقة لسانية مدهشة، كما يقرر عبدالسلام المسدّي أنه (لأول مرة في تاريخ البشرية –على ما نعلمه من التاريخ الموثوق به– يُكتب للسان طبيعي أن يعمر حوالي سبعة عشر قرناً محتفظاً بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية، فيطوعها جميعاً ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن ينتزع النظام الثلاثي من داخله... إن اللغة العربية تلقي بتاريخها تحدياً كبيراً أمام العلم الإنساني، وهذا التحدي يبتهج به العلماء الذين أخلصوا إلى العلم مهجتهم، ولكنه يغيظ سدنة التوظيف الأممي، ويستفز دعاة الثقافة الكونية، لا سيما منذ بدأت المعرفة اللغوية المتقدمة على المستوى العالمي –وفي الجامعات الأمريكية تخصيصاً– تكتشف ما في التراث العربي من مخزون هائل يتصل بآليات الوصف اللغوي، ويقف على الحقائق النحوية العجيبة، ويستلهم مكونات المنظومة الصورية الراقية التي انتهى إليها النحو العربي: من حيث هو إعراب، ومن حيث هو منطق قياسي، ومن حيث هو كذلك علم بأصول الظاهرة اللغوية الكلية)[1].

رابعاً: من النادر أن تغيب مسألة (الهُوية) عن أي كتابة حول اللغة، أياً كانت هذه الكتابة، وهذه الملاحظة ليست مقتصرة على الأدبيات العربية فحسب، كما قد يظن البعض، بل هي ظاهرة طافحة في الأدبيات الأخرى كالإنجليزية التي عاينت طرفاً منها، وهي أدبيات تضم أبحاثاً معدة من كل بقاع الدنيا، كما هو معلوم. وما سبق، يدلّ على تجذر الروابط

(1) المسدي (2011)، العرب والانتحار اللغوي، ص 25–26.

المتواشجة بين اللغة والهوية. ولو عدنا إلى أدبياتنا نحن، فسنجد أن مسألة (اللغة والهوية) طرحت كثيراً من قبل عشرات بل مئات الباحثين والمفكرين والكتّاب في مؤتمرات وأبحاث ومقالات وكتب، بيد أن كثيراً منها مشحون بـ(العاطفية) والركض غير المجدي في المسار (الإنشائي)[1] غير المتصالح مع الحقول الاجتماعية والإنسانية، منهجاً ومصطلحات ونظريات ونماذج ونتائج. وهذا لا ينفي وجود إسهامات علمية عربية مرموقة في هذا الشأن، وهي ليست قليلة في عددها، مع الحاجة إلى إبرازها والتعريف بها بوسائل شتى، بغية الإسهام في إحداث (التراكمية المعرفية) المنشودة المفقودة في فكرنا العربي المعاصر، وأنا أعدّ غياب هذه التراكمية من أكبر دواعي الكلالة الفكرية.

خامساً: من أهم دوافعي لإعداد هذا الكتاب لفت الأنظار إلى ضرورة التعاطي العلمي مع مسألة (اللغة والهوية)، الذي يقتضي أموراً عدة، ومنها: ابتكار وتبني منظومة اصطلاحية متكاملة متماسكة؛ الإفادة الجادة من المنهجية العلمية كما في العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ والاغتراف الذكي من الحقول المعرفية التي عالجت جوانب عديدة في تلك المسألة وعلى رأسها (علم النفس الاجتماعي)، ومنها الفلسفة وعلم النفس وعلم

---

(1) مثل هذه الأعمال كثيرة جداً، فعلى سبيل المثال، انظر: ميمون (2006)، اللغة الرسمية والهوية الوطنية في ظل المجتمع المتعدد اللغات؛ ضيف (2008)، اللغة العربية والعولمة: سؤال الهوية؛ طرابيشي (2008)، مناهج اللغة العربية وتأكيد الهوية الثقافية العربية الإسلامية؛ غيثري (2010)، اللغة العربية مقوم من مقومات الهوية الإسلامية في مواجهة العولمة؛ الدولة (2012)، آليات تحديث منطقية اللغة العربية حفاظاً على الهوية ومواكبة لعصر العولمة؛ يوسف (2012)، مخاطر تواجه اللغة العربية في الوقت المعاصر.

الاجتمـاع والأنثربولوجيـا؛ والتعويل علـى التراكم الكبـير في الأدبيات العلمية المتخصصة، مع ضرورة التمحيص النقدي لـ(تراكم الآخر) لتحديد (العابر للثقافـات والحضارات) و(غير العابر)؛ وبلـورة حلول وتطبيقات ومشاريع عملية في ضوء النتائج التي نخلص إليها في أعمالنا البحثية. طبيعة هذا الكتاب لا تمكنني من مجرد الزعم بأنه يسعني التلبس بما دعوت إليه في هـذه الفقرة، غير أني أجهد للاقـتراب من تخومه على قدر وسعي البحثي، ولعلي أفلح في تحقيق شيء من هذا.

سادساً: تتمحور المشكلة البحثية المحورية في هذا العمل حول التوصيف الدقيق لطبيعة العلاقة بين اللغة والهوية، على نحو يسهم في الحد من المشكل الثقـافي واللغوي المترتب على ما نسميه (معضلة الهوية) أو (أزمة الهوية)، التـي تنال منا جميعاً، عقلاً ووجدانـاً وروحاً وانتماءً وفاعلية، في سياقات نؤمن فيها بأن اللغة عامل محوري في تشكيل هويتنا، ولكن كيف؟ وإلى أي درجة؟ وما العوامل المغذية لهويتنا؟ وما العوامل المعيقة أو المشتتة لها؟ هذه الأسئلة الفرعية وأمثالها قادتني إلى البحث عن منظور تعريفي جديد يجهد لأن يمزج اللغة بالهوية والحياة كما ينبغي. وسيجهد هذا الكتاب الصغير في الكشـف عن هذا المنظور والبرهنـة عليه، بقدر ما أطيق وما أتوافر عليه من أدوات وذخائر بحثية متواضعة.

وفي ضوء ما سبـق، رأيت تقسيم هذا الكتاب إلى مباحث أربعة، جاءت في العناوين التالية:

- نحو مزج اللغة بالهوية.
- انتهاكات هويتنا الناطقة.
- معيقات هويتنا الناطقة.
- تعزيز هويتنا الناطقة في مسارات مختارة.

وتتعين علي الإشارة إلى أن أصل هذا الكتاب كان ورقة بحثية استكتبني فيها مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية عبر أمينه العام الصديق الجميل الدكتور عبدالله الوشمي بجانب العديد من المقالات في مسائل لغوية عديدة كتبتها في مناسبات مختلفة، وقد ارتأيت تطوير هذه الأعمال كماً وكيفاً ليخرج في كتاب مستقل، عله يحمل قدراً من الجدة والفائدة.

وأخيراً، أرجو أن يكون في هذا الكتاب ما يغذي فاعلية اللغة العربية، بل في تعضيد فعاليتنا نحن في تكريسها لكل ما يعيّشنا إنسانيتنا وإبداعيتنا وفق ما نؤمن به في إطار مشروعنا الحضاري العربي الإسلامي، وما أعظم القول القرآني في تقرير إبانة العربية وعلو شأنها في نقل الدلالة المقدسة: (وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين) (الشعراء: 192–195).

المؤلف[1]

بريدة، المملكة العربية السعودية

الخميس، غرة محرم 1434

15 نوفمبر 2012

---

(1) يمكن التواصل مع المؤلف عبر البريد الإلكتروني: beraidi2@yahoo.com، أو عبر موقعه الشخصي: www.drber.com

الفصل الأول

نحو مزج اللغة بالهوية

هذا الكتـاب على غير أهبة لمجابهة كافة إشكاليـات (اللغة) و(الهُوية)، مـع اعترافه غير المبطّن بأنهـا إشكاليات عاتية، لا تذر من قوانا البحثية شيئاً يُذكر. وهي إشكاليات مغرمة بفتح جبهات اصطلاحية ومنهجية وتطبيقية مع قدرتها الهائلـة على إيقاع الباحثين والكتّاب في فخاخها، ومن أكبرها جبهات التعريف بـكل من: اللغة[1] والهوية[2]. ولكـن، هذا الكتاب وفق أطروحته الرئيسة يجب أن يكون –على أقل تقدير– مستعد لبلورة مقاربة تعريفيـة جديدة لكل مـن اللغة والهوية، لا تقوم على مجـرد السرد النظري للتعريفـات بطريقة تجزيئية، وإنمـا تتأسس على السبر المعمـق، بما يفلح في استدراج الإشكالية المفاهيمية لـ(طعم تفتيت التعقيد)، بغية إحكام السيطرة علـى بعضها، والظفر من ثم بتعريف جديد للغـة، معجون بالهوية ومفعم بالحيـاة، بما يحيل اللغة إلى أداة تنشّط النزعة الإبداعية والإنتاجية والجمالية والأخلاقية في مسار يحفظ لنا قدرنا الكافي من (الأنفة الثقافية) التي تعيّشنا إنسانيتنـا، كبقية خلـق الله الأسوياء الذين يحافظون علـى حقوقهم في أن

---

(1) انظـر مثـلاً: يوسف (1990)، سيكولوجيـة اللغة والمرض العقلـي ؛ داود (2001)، العربية وعلم اللغـة الحديث؛ صالح (2006)، علـم النفس اللغوي المعـرفي؛ قاسم (2007)، اللغـة والإعلام؛ القاسمـي (2008)، علـم المصطلح؛ النجار (2010)، اللغة وعلم اللغة قديماً وحديثاً.

(2) انظـر مثلاً: عيد (2002)، الهويـة والقلق والإبداع؛ مرسي (2002)، أزمة الهويـة في المراهقة؛ العظمة (2005)، سؤال مـا بعـد الحداثة؛ رينـو (2005)، التصـورات الأوروبية للهويـة؛ النعمان (2008)، الهويـة السودانية: رؤيـة مستقبلية؛ أحمـد (2008)، حقـوق الإنسان بين العولمـة والهوية الوطنية؛ محمـود (2008)، تصور مقترح لمقرر اللغـة العربية لغير المتخصصـين في تدريسهـا في ضـوء أبعـاد الهويـة في نظريـة (فـيرث) اللغويـة؛ المسكينـي (2011)، الهويـة والحرية؛ Pable et al. (2010)، Language and social identity: an integrative critique، Language Sciences.

يعيشوا كما يشـاؤون، وأن يحققوا ذواتهم بما يدعونه ويبتكرونه في شتى ميادين الحياة.

ومـن أجل هـذا، فقد عمـدت إلى استعراض التعريفـات بطريقة تحليلية جديـدة، علها تقودنـا إلى اكتشـاف بعض الزوايـا الإشكاليـة المعتمة في تعريـف اللغة والهويـة. وبالفعل، فلقد خلصت إلى وجـود إشكاليات من نـوع مركّب، نتجت عن تعريف كل من اللغة والهوية بمعزل عن الأخرى، الأمر الذي سبّب (تنافراً اصطلاحياً) فيما بينهما، أدى إلى خلل في التصور والفهم لكل من اللغة والهوية، وفرض (قطيعة مفاهيمية) خفية أو ضمنية، قـلَّ مَنْ ينتبـه لها؛ مع أن كثـيراً من المعطيـات تؤكد ضـرورة التحام اللغة بالهوية علـى المستوى الاصطلاحي، على نحو يغـذي مقومات اتحادهما وتكاملهمـا وتعاضدهما بما يصل إلى باحة الفعـل والسلوك، وهو المنشود في نهايـة مطافنـا الاصطلاحي. التعريف الجديد الذي أصبـو إليه، ألتمس فيـه قدراً معقولاً من التماسك المفاهيمي والقبول بين أوساط المتخصصين، بمـا يخدم الأغراض المتوخاة لاستعادة اللحمة بـين اللغة والهوية. ما سبق، يستلـزم عرض الموضوع في محاور ذات تسلسل منطقي، ولعل ذلك يكون وفق الآتي:

1. تعريف اللغة مجرداً من الهوية

باب اللغـة هو الآخر مخلوع، إذ هي لم تسعـف نفسها وتدخر من قوّتها اللفظية والدلالية ما يكفي لإنجاز تعريف مقبول لها، بل راحت توزع قوّتها على جبهات عديدة، مما جعلها تخسر (معركة التعريف)، فنحن إزاء مئات التعريفات المتناثرة في بطون الكتب والأبحاث، سواء أكانت تعريفات قديمة أم وسيطة أو حديثة. وكما أسلفت، فلن أتتبع هذه التعريفات في مظانها، بل سأعمد إلى كشف زوايا أرجو أن تكون مُعِينةً على خفض سقوف إشكالية التعريـف من جهة، وتحريك تروس صيانة الضاد وحماية جنابها من جهة ثانية، وهو ما يهمنا في نهاية مساعينا البحثية والفكرية.

يقـرر علي القاسمـي بأن علماء اللغـة يعتبرون وظيفة اللغـة ركناً محورياً في تعريفهـا، بدءاً من التعريفات القديمـة كتعريف ابن جني (متوفى 392هـ /1002م) الشهـير (أصـوات يعبر بها كل قوم عـن أغراضهم)[1]، وتعريف ابن سنـان الخفاجي (466هـ /1073م) (عبارة عمـا يتواضع القوم عليه من الكلام)[2]، مروراً بالتعريفات الحديثة كتعريف فرديناند دوسوسير (1857–1913) (نظـام مـن الدلائـل يعبر عمـا للإنسان مـن أفـكار)[3]، وتعريف تشومسكـي (مولود 1928) (ملكة فطرية عنـد المتكلمين بلغة ما، لتكوين وفهم جمل نحوية)، وتعريف سيمون بوتر (نظام عرفي من الرموز الصوتية

---

(1) القاسمي (2008)، مرجع سبق ذكره، ص 54.

(2) النجار (2010)، مرجع سبق ذكره، ص 15.

(3) انظر: زيد الخير (2010)، اللغة والهوية في الثقافة الجزائرية، ص 56.

تستخدمه جماعة لغوية معينة بهدف الاتصال)[1]. الزاوية السابقة تكشف لنا أن ثمة فواتير إشكالية مستحقة المعالجة دون إبطاء، إن أريد لتيار الحل أن يتدفق في شرايين اللغة العربية. وتلك الفواتير تتعلق بمسألة: هل اللغة هوية أم مجـرد وسيلة اتصال؟. سأعرض لهذه المسألة بشيء من التفصيل في الأجزاء التالية. وأحسب أنه لا يسوغ لي أن أفارق هذه النقطة دون التمييز بين: اللغة والكلام[2]، فاللغة حقيقة اجتماعية أو لنقل كائن اجتماعي، أما الكلام فهو عمـل فردي أو لنقل صنيعـة الإنسان، أي أنه سلوك بخلاف اللغة التي هي بمثابة المعايير له والضابط لإيقاعه.

2. تعريف الهوية مجرداً من اللغة

(الهويـة) مصطلح مشتق من أصل لاتيني يفيد أن الشيء هو نفسه وليس شيئـاً آخر، وبعبارة أخـرى أن الموجود هو ذاته أو هو مـا هو عليه، أي أن هوية الشـيء= ماهيته، وقد أشـاع عالم النفسـ الأمريكي–الألماني (إريك أريكسون) Erik Erikson (1902–1994) المفهوم حين أدخله في الأدبيات النفسية مع تركيزه على فكرة شعور الإنسان بأنه ذات متميزة عن الآخرين، ولم يكتـف بذلك بـل طرح بعضـ إشكاليات الهويـة كـ(أزمـة الهوية)[3]

(1) النجار (2010)، مرجع سبق ذكره، ص 25 – 26.

(2) انظـر مثـلاً: الذوادي (2007)، في مخاطر فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعـات العربية ولغتها ؛ قاسم (2007)، مرجع سبق ذكره.

(3) Identity Crisis، مـع ملاحظـة أن أريكسون قد استخدم مفهـوم (أزمة) كما استعمله الصينيـون، فهي تحد وفرصة معاً، خاصة للشباب، حيث أنهم قد يوفقون لبلورة هوية سليمة ومن ثم يصبحون عناصر فعالة منتجة، وقد يفشلون في ذلك مما يورطهم في فوضى الهوية وتشتت الدور مع ما يصحب ذلك من شعور بالدونية والعجز والإحباط واللامعنى.

و(فوضـى الهوية)[1] و(تشتت الـدور)[2]، وأكد على حتمية مجابهة (سؤال الكينونة): (من أكون أنا؟)، و(مِـنْ أين جئتُ؟)، و(ماذا أريد أن أكون؟). كمـا شدّد أريكسون علـى أن الهوية ليست (ناجزة)، بـل هي مفتقرة إلى جهد من أجل بلورتها وتشكّلها، ويرى أن للهوية شقين، أحدهما يعود إلى الإنسان نفسه (هويـة الأنا) والآخر يعود إلى مجتمعه (هوية الذات)، حيث يقـرر بأن الهوية تعكـس: وضعاً داخلياً مرتبطاً بماضـي الإنسان وحاضره ومستقبله، ويتضمـن شعور الإنسان بالتفرد، والتكامل والتآلف الداخلي، والتماثل والاستمرارية؛ وإحساسـاً بالتماسك الداخلي والاجتماعي وهو مرتبط بالمثل الاجتماعية والدعم الاجتماعي[3].

وفي ضوء المفهوم السابق، اقترح (جيمس مارشا) James Marcia تصنيفاً رباعيـاً للهوية، حيث يرى أنها تخضع لإحـدى الحالات التالية: (1) إنجاز الهوية: الالتزام بهوية محددة بعد الانتهاء من حسم معركة الهوية، (2) تعليق الهوية: عدم الالتزام جراء عدم الحسم، (3) وراثة الهوية: الالتزام بهوية من غـير خوض المعركة، (4) تشتت الهوية: ليس هنالـك التزام ولا معركة[4]. ويمكـن التعبير عن الحـالات السابقة كما يلي (بحسـب ترتيبها): استقرار هوياتي، عراك هوياتي، استسلام هوياتي، تبعثر هوياتي. ومما يجب التأكيد عليه ها هنا أن الهوية لا تتصف بالثبات/الديمومة/السكونية[5].

---

(1) Identity Confusion

(2) Role Diffusion

(3) الغامـدي (2001)، تشكّل هوية الأنـا لدى عينة من الأحداث الجامحين وغير الجامحين في المملكـة العربية السعودية؛ عيد (2002)، مرجع سبق ذكره؛ الشقران (2012)، العلاقة بين أنماط التنشئة الأسرية وتحقيق المراهق لهويته النفسية.

(4) مرسي (2002)، مرجع سبق ذكره.

(5) الصُيّاغ (2012)، إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر.

وقبـل أن أختـم هـذا المبحث المختصر، يتعـين علينا أن نميز بـين (الهوية الشخصيـة) و(الهويـة الاجتماعيـة)، فـالأولى تنبع من عوامـل شخصية صرفـة، وهـي ترتبط بما يعرف بـ(متصـل السلـوك البين–الشخصي)، أي أن هويـات الأفراد تتفاعل فيما بينهـا وفق شخصيات أصحابها، أما الثانية فتتشـكل في إطار انتماء الإنسـان لجماعة ما، ومن ثم فهي ترتبط بـ(متصل السلـوك البين–جماعي)، فالهويـات تتفاعل وفق انتماءاتهـا الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والمهنية، والهوية الاجتماعية ضرورية لإمداد الإنسـان بالأمان والجدارة والقبـول والدعم الاجتماعي. هنالك دراسات تبـين بـأن الثقافة القويـة تـؤدي إلى ما يسمـى بـ(انتـزاع الشخصانية من الـذات) Depersonalization of Self أي إعـادة صياغة الذات من كونها ذاتـاً بسمات شخصية إلى كونها ذاتاً بسمـات وانتماءات اجتماعية[1]، مع التأكيد علـى وجود كلا الهويتين في متصل كلـي Spectrum (أي بوجود الأنا والنحن في مساقات مختلفة).[2]

وليس المهم ها هنا هو الطرح المفاهيمي والنظري المجرد لمسألة (الهوية)، وإنما تأسيس علائق مع مسألة (اللغة) في إطار إشكاليتنا البحثية. ولذا، فإنه لابـد من طرح جملة مـن الأفكار الأساسية، علها تنـير لنا بعض المسارب المفضيـة إلى التخفيـف من حـدة الإشكاليـة، وربما الظفـر ببعض الحلول العملية. ولعلي أجملها في الآتي:

---

(1) زايد (2006)، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات.

(2) العنزي (2006)، مرجع سبق ذكره؛ زايد (2006)، مرجع سبق ذكره ؛ Vedder and Virta (2005)

كل هويـة له (مسلماتها) و(أجندتها) و(لغتهـا) و(نفوذها) و(شهواتها) و(غنائمها)، وهي ساعية بنزعة إمبريالية لاجتياح الذات وحبسها في نطاقها.

مـا سبق يعني بالضـرورة أن ثمة صراعاً صريحـاً أو ضمنياً بين الهويتين: الفرديـة والجماعية، والغلبـة تختلف من وضع إلى آخـر، لعوامل تعود إلى الشخص نفسه وإلى ثقافة المجتمع أيضاً.

إذن وهـو ما يهمنا، هنالك صراع لغـوي (محتمل) –وليس حتمياً– بين الهويتـين، وذلك في حالة وجود فجوة بين المدخـلات والمغذيات اللغوية لكل هوية.

3. الامتزاج الوشائجي بين اللغة والهوية

هنالـك تحاشد في آراء الباحثين والمفكرين العرب لتأييد أن اللغة (هُوية)، وليسـت مجرد أداة تواصل[1]. وثمة مقولات مكبسلة ذات دلالة باذخة في هذا السياق، من قبيلِ (هوية كل مجتمع تتأسس على لغته)[2]، و(اللغة هي أم الرموز الثقافية المشكّلة لهوية الإنسان)[3]، و(الهوية تقع في صميم ما تعنيه اللغة، وفي آلية عملها، وكيفية تعلمها)[4]. وهنالك مقولات مشابهة كثيرة، غير أنها تفتقر إلى البرهنة على صحتها فضلاً عن حشدها في مساقات تدعيم الهويـة العربية الإسلامية، بما يعزز الفاعلية الحضارية، بكامل مقوماتها. في

(1) انظـر مثلاً: ابن تنباك (1986)، الفصحى ونظرية الفكر العامي؛ الذوادي (2005)، في الأسباب والآثار لاغتراب العلاقة بين المجتمع ولغته؛ العطية (2008)، اللغة العربية: قضايا الواقع والمعاصرة؛ المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره.

(2) حيدر (1997)، إعادة إنتاج الهوية، ص 136.

(3) الذوادي (2005)، مرجع سبق ذكره، ص 56.

(4) النجار (2012)، اللغة العربية بين أزمة الهوية وإشكالية الاختيار، الملخص التنفيذي، ص 1.

الفضاء العربي، (العربية) هي طبقات (الهُوية) وليست الدين أو الدولة. أنا هنا أتحـدث عن (الهوية) من جهة الترسيخ والثبـوت؛ لا من جهة الأهمية المطلقـة أو النسبية، حيث يسعنا ترتيب طبقات (هوية) اللبناني المسيحي – علـى سبيل التطبيق– وفق الآتي: (هو عربـي أولاً، ومسيحي ثانياً، ولبناني ثالثـاً). لماذا أقول بهـذا الترتيب على وجـه التحديد؟. لأن هـذا الإنسان اللبنـاني لا يستطيع –ولو أراد– أن يكون (غير عربي)، حتى لو انغمس في مجتمعـات غير عربية لعقود متطاولة، فـ(هويته العربية) لا انفكاك منها بأي حال من الأحـوال، فهو (عربي في نفسه) و(عربي في نفس الآخر) أيضاً، أما (الدين) فيمكنه التحول عنه، ولكن بتكلفة تكون في العادة كبيرة سواء في أبعادهـا الروحية أو الاجتماعية، وأما (الجنسيـة) فهي الأقل من حيث الترسيـخ والثبـوت، إذ يستطيع أن يقلب جنسيته بتكلفـة أقل وربما بسرعة أكبر. وهكذا لبقية الحـالات في المشهد العربي، فهويتي أنا تجيء كما يلي: (أنا عربـي أولاً، ومسلم ثانياً، وسعودي ثالثاً). ماذا يعني لنا هذا في سياق مسألة اللغة والهوية؟

في الحقيقـة، يعني أشياء كبيرة وكثيرة. فمن ذلـك، أنه يعني أن (العربية) بالنسبة للعربـي هي ركيزة إدراكه لذاته، وهي تشـكِّل تماهياً تاماً مع (ذاته العميقـة)، فالعربية هـي التي تصنع للعربـي مشاعره تجاه ذاتـه، متجسداً ذلك بشعوره (= تمثيلات عقلية نفسيـة) بأنه (عربي)، وذاته العميقة تشير إلى (وعـي الوعي)، أي وعيه بأنه يعي بأنه عربـي، فهو لا يعرف أنه عربي فحسـب، بل يعـرف أنه يعرف أنـه عربي، ومستوى التفكـير هذا يسمى

-في أدبيـات علم النفس الاجتماعـي- بـ(الانعكاسية)[1]. ويمكن لنا -إن نحن استعرنا مصطلحـات عالم النفس وليام جيمس[2]- أن نقول بمعادلتي الفاعـل والمفعول به كما يلي: (العربية=الـذات العارفة) (الذات الفاعل)، (العربي=الذات المعروفة) (الذات المفعول بها).

ويمكـن لمتسائل أن يبادر: وماذا عساك تقصد بـ(العربية)، خاصة أنك قد تحاشيت إلصاق مفردة (اللغة) بـ(العربية)، فلم تقل: (اللغة العربية)؟. العربية في السيـاق السابق تعنـي الثقافة، بكل تراكميتهـا ومغذياتها ومكوناتها، وبدهي أن (اللغة) على رأسها، وذلك أن (اللسان يقع في قلب كل القضايا.. وهو صورة تعكس الواقع الاجتماعي والنفسي للأفراد أو لمجموعة لسانية مـا)[3]، لا سيمـا في حضارتنا العربيـة الإسلامية الموسومـة بأنها (حضارة الكلمـة)[4]. ومن هنا نستبين الأهمية الجذرية للغة العربية في تكوين هويتنا العربيـة الإسلاميـة. ولكي أجيب عن أسئلة فرعيـة أحسب أنها قد تتخلق هاهنـا، أوضح مسألة مهمة. دعوني أستجلـب حالة تطبيقية، فيها قدر من التطـرف والشذوذ، كي نتبين أعمق الزوايا المعتمة في تلك المسألة. تخيلوا معـي لو أن عربياً يعيش في المهجر، وفقـد تعمداً لغته العربية بغية التخلص مـن (ذاته العربيـة)، فإنه يعيشـ في مرحلة يمكن نعتهـا بـ(الهوية الباهتة)، فـ(عربيتـه منتقصة) مـن جهة الأفكار واللسان، مما يعيّشـه وضعاً لا يتوافر

---

(1) العنزي (2006)، علم النفس الاجتماعي.

(2) مايـز بـين: الذات العارفـة The Knowing Self، الذات المعروفـة The Known Self، انظر: العنـزي (2006)، مرجع سبق ذكره.

(3) عبدالواحد (2007)، اللسان العربي: الحاضر والآفاق، ص 64 – 65.

(4) عياشي (1991)، قضايا لسانية وحضارية، ص 49.

فيه على (تمثيـلات عقلية نفسية) تكفي لإكمال (ذاتـه العربية)، ولكنه في الوقت ذاته، لا يطيق الانفكاك من كونه (عربياً)، فالثقافة العربية المحيطة به –وإن كانـت في أضعف حالاتها– قادرة على خلق تمثيلات كافية لتوريطه بـ(الهوية العربية) التي يريد هو أن يهرب منها، وهذا التورط ظاهر وجلي، في (نفسه) وفي (نفس الآخر) أيضاً. أما لو انعدمت (الثقافة العربية) تماماً من محيـط الإنسان الذي أصله عربي ويعيش في المهجر، فإنه يمكن القول بـأن (هويته العربية) تلاشت أمام (هويته الجديدة) التي صنعتها الثقافة التي تلقفته تربية ولساناً، كما في حالة (ستيف جوبز) –رئيس شركة آبل– فكونه عربيـاً من جهة أبيه (السـوري)، لم يسهم في إكسابـه (الهوية العربية)، لا في نفسـه ولا في نفوسنـا ولا في نفوس الأمريكان، فقد عاش (أمريكياً) ومات (أمريكيـاً)، وعلى أحسن الأحوال كان ينعـت بالقول (من أصول عربية). ومؤدى هذا، أن (العرق) ليس له أهمية تذكر مقابل أهمية (اللغة) في إكسـاب الإنسان (الهوية). ومما يؤكد ذلك، أن الإخـوة الأمازيغ في المغرب العربي يعدون أنفسهم عرباً ونحن نعدهم عرباً، سواء بسواء (طبعاً مع استبعاد الطروحات العرقية المتطرفة التي تتبناها أقلية شاذة[1]).

النتيجة السابقة تؤكد على أن العربية هي آكد طبقات هويتنا، وقد خلصت إليهـا في سيـاق الاستنتاج التحليلـي ذي الطبيعة الفلسفيـة، كما أوردت ملخصـاً لها في الفقرة السابقة، وقد سررت حقاً حينما وجدت أدلة تدعم هـذه النتيجة في بعض الدراسات التطبيقيـة. ومنها دراسة تطبيقية أجريت

(1) للاستزادة، انظر مثلاً: زيد الخير (2010)، مرجع سبق ذكره.

عـام 2004 وكانت تعالج مسألة تعلم اللغة العربية في المهجر وبالتحديد في الولايات المتحدة الأمريكية. ولكي أعرض بعض أبعاد تعضيد هذه الدراسة التطبيقيـة لما انتهيت إليه؛ أورد شطـراً من أقوال بعض الشباب العربي وفقاً لتلك الدراسة[1]:

شاب عربي يقول بأن (اللغة العربية هي جزء من ذاتي)[2]، وآخر يقرر (لا أطيق الادعاء بأنني عربي وأنا لا أعرف العربية)، ويمضي بالقول: (يجب أن أتعلم العربية كي أكون قادراً على نقلها للأجيال القادمة)[3].

وتشـدد نادية ذات العشرين ربيعاً على ما سبـق بقولها (لا يمكنني الزعم بأنني عربية مـا لم أتقن العربية)[4]، وتذكر بأن زملاءها في المشفى يسألونها دائماً (كيف تقولون كذا بالعربيـة)، وهي تشعر بأنها (عربية باهتة)، نظراً لضعف قدراتها اللغوية العربية[5].

وأحمـد شاب فلسطيني. لم يكن يعرف من اللغة العربية شيئاً بسبب وفاة والده وهو ابن سنتين، ومع ذلك (استرجع) ما فقده من (هويته)، حيث بدأ بتعلـم العربية في أوائل عشرينياته، مؤكداً علـى أنها في غاية الأهمية لمعرفة ذاتـه وثقافته وتراثه، مما جعله يسافر إلى العالم العربي ليختلط بالناس ويتعلم العربية في بيئتها وسياقها الطبيعي.

---

(1) Seymour-Jorn (2004)، Arabic language learning among Arab immigrants in Milwaukee، Wisconsin: a study of attitudes and motivations

(2) p. 115

(3) p. 115

(4) p. 116

(5) نادية استخدمت جملة (washed out Arab)، ورأيت ترجمتها إلى (العربية الباهتة)، انظر المرجع السابق.

4. عود على لحمة: إعادة مزج اللغة بالهوية

الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر (1889–1976) يقول (إن لغتي هي مسكني، وهي موطني ومستقري، وهي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع)[1]، وهو لا يكتفي بذلك، حيث يقول: (أنا ما أقول)، أما جان بول سارتر (1905–1980) فيقرر بـ(إنني لغة)[2]. مثل هذه المقولات المعمقة الصادقة ليست حكراً على الفلاسفة والمفكرين، بل هي جارية على ألسنة الناس العاديين، لأن الحكمة ذات الطابع الفطري التلقائي مشاعة بين البشر، ولذا وجدنا –كما أوضحت سابقاً– شاباً عربياً في المهجر يعترف بأنه لا يطيق الادعاء بأنه عربي وهو لا يعرف العربية، والشابة التي تؤكد: (لا يمكنني الزعم بأنني عربية ما لم أتقن العربية). وأضراب المقولات السابقة كثيرة متعاضدة متضافرة، غير أن ما يعنينا هو مجرد التمثيل لا أكثر.

وفق كل ما تقدم في الأجزاء السابقة، يتوجه القول بأن أي تعريف للغة لا يعترف بمحورية الهوية يعد ضرباً من (اللغو المفاهيمي) الذي لا قيمة كبيرة له، كما أن أي تعريف للهوية لا يراعي اللغة لهو تعريف ناقص، وهذا ما يدعوني إلى اقتراح تعريف جديد للغة. وهو ليس تعريفاً (صناعياً) نحته (التكلف الأكاديمي) من جراء ممارسة (لعبة تركيب الكلمات) ورصها بجانب بعضها البعض كما قد نفعل أحياناً، لمجرد الخلوص إلى ما يُزعَم أنه

---

(1) جمعة (2008)، وعي اللغة العربية وتمكينها حاضراً ومستقبلاً.

(2) بغورة (2007)، مفهوم اللغة في فلسفة جان بول سارتر 1905 – 1980.

(جديد)، وإنما هو تعريف صلـب -في رأيي المتواضع- منبثق من حيثيات موضوعيـة صرفة، وهنا يلزمنـي التذكير بأننا في البحـث العلمي لا نخلق الأفـكار من العدم، وإنما نكشـف سترها ونزيل طبقات الغموض المتراكمة عن إهابها، ليخرج إلى النور جوهرها وتفيض لنا حقيقتها، لا أكثر من ذلك وربما أقل.

والقول بأن التعريـف الجديد سيتمحور حول الهوية، لا يعني أننا نتوجه إلى (الإزالة التامة) لفكرة أن (اللغة) هي (أداة اتصال)، وإنما إبقائها في دائرة التعريـف، ولكن بوزن أقل، مع إيلاء الأهميـة الأكبر لـ(الهوية). ويتوجب التشديـد على أن التعريف المقـترح وإن كان يصلـح لـ(اللغة) بشكل عام، إلا أنـه قد أنجز للغة العربية على وجه التحديـد، فأنا لست مسكوناً بفكرة (عالميـة الفكـر)، ومن ذلك أنـه لا يمكن الزعم بمسألة تسـاوي اللغات في جميع الجوانب، ومنها كيف ينظر المجتمع إلى اللغة (الصورة الذهنية للغة)؟ وكيـف هو تقلبها الدينامي في حياة هـذا المجتمع؟ وما مستوى خضوعها للمعياريـة اللغويـة؟ والواقع يشهد بـأن اللغة العربية لهـا تفرد في كثير من تلك الجوانب.

أبان عنوان الكتـاب ومقدمته عن الهدف الأسمى الذي أتوخى تحقيقه، حيـث أنني أنشد بلورة منظور تعريفـي جديد، يفلح في مزج اللغة بالهوية والحياة. ولقد مرت عملية وضع هذا المنظور بأطوار ثلاثة، تنقلت فيها من تعريـف إلى آخر، ولعلي أطلعكم على هذه المراحل، فلربما حملت شيئاً من الفائـدة عبر تعرية الأعمـال الذهنية الجوانية التي تلبستنـي أثناء هذا العمل

البحثي. والتعريفات الثلاثة هي:

التعريف الأول. اللغة= رمـوز ترتضيها الذات لنقل أفكارها ومشاعرها في قالب يتناغُم مع هويتها.

وقد رفضته لعدة أسباب، ومن أهمهـا أنه يبتدأ بـ(الرموز)، وكأنه يعيدنا إلى المربـع صفـر (أي أن اللغـة هـي أداة اتصـال بالدرجـة الأولى) الذي نجهـد للهروب منـه. مما جعلني أدخـل في جولة ذهنية جديـدة؛ بحثاً عن تعريف أفضل.

التعريف الثاني. اللغة= هُوية مُعبرٌ عنها برموز مفهومة.

لقد أفلح هذا التعريف في إعادة الأمور إلى نصابها، حيث يشرع بـ(الهوية) ويجعلهـا مركز التعريف أو (البؤرة الدلاليـة) التي تعكس جوهر المُعرَّف، لتتبقـى أوصافه وسماته التي تحقق خاصيـة (جامع مانع) -بقدر المطاق-، وقـد تمثلت تلك الأوصاف والسمات بـ(معبر عنها برموز مفهومة). وهذا يعني أن التعريف استبقى بذكاء (الرموز) ولم يستبعدها، بل لم يهمشها، حيث عدها أمراً لازماً للتعبير عن الهوية.بما يرتقي بسقوف فعاليتها إلى كونها تمثل (لغة إنسانية). هذا التعريف راقني كثيراً، وكدت أركن إليه وأستغني به عما سـواه، غير أن ذهني لم يكف عن الاشتغال، فقادني إلى تعريف ثالث، يزعم أنه الأفضل. لنرى!

التعريف الثالث. اللغة = هُوية ناطقةُ.

هـذا التعريف يزعم أنـه يكتنز بقالب بلاغي كافة الـدلالات الواردة في التعريـف الثاني. وحين نمعن النظر فيه، نجد أنه على حق فيما يقوله، فكلمة

(ناطقة)=(مُعبَّر عنها برموز مفهومة). ولذا فقد اعتمدته، لاختزاله الدلالات المستهدفة ببلاغة ودقة، ولكونه يتناغم مع فكرة (التعريف الشعار).

وهـذا التعريف صالح ليس في حالات النطق والإبانـة فحسب، بل في حالات السكوت والإضمار أيضاً، فالصمت بيان وبوح في كثير من المواقف كمـا نعلم، وقد يدل الصمت على (طلب التريث للتفكير) أو (التردد وعدم الحسـم)، وقد يُظهِر (الإقرار والموافقة)، وقـد يعني (الغضب)، وقد يشف عن (حب وعشق) (إن الحروف تموت حين تقال – نزار قباني) ونحو ذلك مما يمكن تفسـيره في ضوء (هوية الإنسان)، ومـن ذلك ما ورد في الحديث النبـوي الكريم عن (تبسم المغضب)، وكل ذلك يعزز أن (لغة الصمت) هي في الحقيقة (هوية ناطقة) تماماً كلغة النطق والإبانة.

وهنالك زاوية أخرى تقـوّي أن اللغة (هوية ناطقة) وتتمثل في حقيقة أن (مفـردات اللغة) تكتسب معاني مختلفة بحسـب (هوية الناطق بها)، فاللغة لا تكـون (أداة توصيل للأفكار والمعاني) إلا إذا انغمست في هوية صاحبها وانبثقت منها، وهذا أمر محسوس ومجرب، فالمعنى يختلف –مثلاً– حين تُلفَظ الكلماتُ من المدير ذي الصلاحية عن تلك التي يلفظها الموظف العادي، أو من إنسان جاد مقابل غير الجاد، أو من الرجل مقابل المرأة، وهكذا.

وثمـة شاهد آخر على فاعلية التعريف المقـترح في الارتباط بالهوية، وفيه ظرافة وملاحة، حيث أنه مُلتَقط من عالم الطيور، فقد أظهرت دراسة أجراها باحثـان في جامعة لايدن بهولنـدا أن تغريد الطيور داخل المدن يختلف عن تغريدهـا في الأرياف والغابات، ففي داخل المدن يكون التغريد أعلى صوتاً

وأسرع إيقاعاً ليتناسب مع الحياة المدنية الصاخبة المتسارعة، وخلص ذلك البحث إلى أن الطيور القادرة على استخدام ما أسميه بـ(اللهجة المدنية) (=الهوية المدنية) هي فقط من يطيق العيش في المدن، أما الأخرى فلا يصلح لها غير الحقول والغابات والمناطق المفتوحة، وقد شملت الدراسة طيوراً تستوطن باريس ولندن وبراغ وأمستردام[1].

ومؤكد بأن هذا التعريف (بنسخته المختصرة أو الموسعة) يحتاج إلى تفكيك يرسخ قناعة الباحثين والمتخصصين به، والحقيقة أنه يمكن التوسع في عملية التفكيك للكلمات المفتاحية في مساقات عديدة، غير أنني ألتمس نهجاً قاصداً عبر التوسل بالتحليل المنطقي المتسلسل الآتي:

1. لكل إنسان هوية يرتضيها لنفسه، في إطار (الهوية الشخصية) و(الهوية الاجتماعية).
2. أفكار الإنسان ومشاعره تعبّر عن الهوية التي ارتضاها هو تجاه القضايا والأحداث والأشخاص. وبعبارة أخرى، يمكن القول بأن الهوية هي أشتات الأفكار والمشاعر التي يحملها الإنسان.
3. إذن، اللغة= هوية.
4. أي فكرة أو مشاعر يريد الإنسان التعبير عنها فإنه لابد أن يستخدم رموزاً معينة.

(1) مجلة القافلة (2007)، تغريد العصافير يتمدن.

5. ولكـي تصـل رسالة اللغة بقالـب مفهوم إلى الطـرف الآخر في عملية الاتصال فلابد من استخدام رموز ملائمة (مفهومة).
6. إذن، اللغة= هوية ناطقة.

المنظـور التعريفـي السابق، في ظني أنه يمكـن أن يفتح آفاقـاً جديدة في البحـث في مسائل اللغة والهوية، لا من جهة البعد المفاهيمي فحسب، بل من جهـة الفعل والسلوك في الحياة العامة والمهنية بمـا يرسّخ الهوية العربية الإسلامية ويقلل من معضلات الهوية، التي تتفاقم بوتيرة مخيفة. وسأحرص فيما تبقى من الكتاب على الإتيان على بعض الأطر العملية التي تبرهن على إمكانيـة تحقيـق انتفاع ملموس من هذا المنظور الجديـد. وهي مجرد محاولة مبدئية وبخطوط عريضة، على أن يتوالى البحث في هذا المجال.

الفصل الثاني

انتهاكات هويتنا الناطقة

مدخل

التاريخ: أكتوبر 2004.

المكان: بروكسل.

الحدث: قمة الاتحاد الأوروبي.

أثنـاء تلك القمـة، عرض الفرنسـي (إغير نستسيليـيرغ) رئيس المصرف المركـزي الأوروبي تقريراً اقتصادياً، وقد تحـدث بـ(الإنجليزية)، وبعد أول جملة قالها، قاطعه الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) قائلاً: (لماذا بحق السماء تتكلم الإنجليزية)، وبعدها خرج (شيراك) محتجاً على ما اعتبره إهانة (لهويته الناطقة) (=الفرنسية) وصحبه وزير خارجيته (فيليب دوستبليزي) ووزير المالية (ثـيري بريتون). وقد أثمرت هذه (الغـيرة اللغوية) أن دفعت رئيس المفوضيـة الأوروبية الفرنسي (خوسيه مانويل باروسو) إلى احترام هويتهم الناطقـة، فالتزم بالفرنسية في كلمته في القمة علـى غير عادته، حيث كان يتنقل بين الفرنسية والإنجليزية أثناء حديثه[1].

(1) بلحبيب (2012)، فطرة الدفاع عن اللغة الأم بين التفعيل والتعطيل، ص 169–170.

التاريخ: فبراير 2008.

المكان: جدة.

الحدث: منتدى جدة الاقتصادي.

بدأ هذا المنتدى أعماله مع تسابق الكثير من السعوديين والعرب المشاركين على (الرطانة بالإنجليزية)، وقد نُقل عن بعض المسؤولين السعوديين أنهم أرادوا التحدث بالعربية إلا أن المنظمين أبدوا رغبتهم بالحديث بالإنجليزية، مما جعله يستجيب لهم. وفي المقابل، تحدث الرئيس البوسني الدكتور (حارث سيلايدجيتش) باللغة العربية، ويصوّر أحد الكتاب السعوديين الموقف ويقول: (قام الرجل الكامل الأناقة السيد –حارس سلاجيتك– الرئيس البوسني مثل غيره، وتساوى وراء المايك... وتنحنح مثل غيره.. ولما تحدث.. كانت المفاجأة، والخروج عن النظام..وأسقط في يد معدي المنتدى..تكلم الرجل وبطلاقة باللغةِ المكسيكية.. أقصد بالعربية الفصحى. وكانت لغة عربية صافية سلِسة بلا لحنٍ ولا هناتٍ لغويةٍ ولا سقطاتٍ نحوية، كما هي عادة الخطباءِ والمتكلمين من أرومتنا..الغريب.. لم يحدث شيء، ولم تنقلب الدنيا، ولم يفشل المنتدى، ولم يكن عسيراً أبداً فهم ألفاظ الرئيس البوسني، فالترجمة الفورية تقدمت بشكل كسرت معه كل عوائق اللغة)[1]. وثمة من يشير إلى أن (الإنجليزية) ظلت هي (اللغة الرسمية)

---

(1) انظر مقال نجيب الزامل حول هذا الموضوع في جريدة اليوم السعودية بتاريخ 27–2–2008م، نقلاً من: البريدي (2008)، الهجرة نحو (الإنجليزي)... تهديد الهوية.

للمنتـدى حتى أيامنا هذه، 2012.[1] تكرار مثـل هذا الأمر في مهد العربية يجعلنـي أقابل تلك الصـورة البئيسة بما يحدث في الاتحـاد الأوروبي مرة أخرى، حيـث إن المفوضية الأوروبية تضم ما يقارب 1300 مترجم لتغذية الحاجة الشديدة للترجمة، وهناك 27 مقصورة للترجمة حول قاعة المناقشة في البرلمان الأوروبي، وستزاد كي تستوعب اللغات الجديدة، على ما ذكره موقع (بي بي سي) العربي.

اللغة العربية منتهكة في مسارات عديدة، وهي في خطر حقيقي ومتزايد، وليس متوهماً ولا مبالغـاً فيه. دعوني التقط بعض الأمثلـة التي تفيض بها الذاكـرة القريبـة. أستاذ جامعي متخصص باللغة العربيـة أرسل لي رسالة على هاتفي المحمـول وفيها كتب كلمة (ماركتنج) بأحرف عربية ويقصد تخصص (التسويـق) marketing، وشخص آخر كتب يقـول: (بزنس) ويعني (التجارة والأعمال) business. وفي جلسة مع عدد من المتخصصين الشرعيين، صعقت بحجم تأثرهم بالأعجمية، فأحدهم كان يقول: (يكنسل المسألـة)، ويقصد: (يلغي المسألة) وقد توسل بالكلمة الإنجليزية cancel مع تصريفهـا كما لو كانت كلمة عربية فصيحـة، والآخر يقول: (جروبات)، ويقصـد مجموعات، وقد أخذها مـن كلمة groups. هـؤلاء متخصصون باللغـة العربية والشريعة، وُيفترض أن يكونوا علـى درجة عالية من (الغيرة اللغوية). وقبل الاسترسال في الأمثلة، أشدد على أنه لا يجوز إطلاقاً كتابة أو

(1) انظر: حبتور (2012)، المنتديات الاقتصادية تصر على تجاهل اللغة العربية.

نطق الكلمات الأجنبية بأحرف عربية، وقد كتبت الكلمات الأربع السابقة بأحـرف عربية لأحكي ما حـدث، ولن أفعلها مرة أخـرى في سياق هذا المبحـث ولا في غيره، حيـث إن ذلك يمثل جرماً لغوياً مستقبحاً، يجب أن نتعفف عنه، مع الاعتراف بأنه قلما يسلم أحد منا في ذلك المسلك، ولكنه تصحيح واع متحتم علينا جميعاً، وهو فريضة لغوية ثقافية لازمة.

دخلـت محلاً لشـراء بعض المأكـولات، فوجدت مجموعة مـن السيدات السعوديـات يطلبن مـن العامـل الأجنبي بعضـ الأصناف بلغـة إنجليزية مكسّرة، ومضحكة في أكـثر الأحيان، مع أن ذلك العامـل يعرف العربية بشكل معقـول. انتظرت دوري كي أحصل على ما أريد، فجاء عامل آخر لخدمتـي، إلا أنه جديد ولا يعرف من العربية شيئـاً، فتحدثت بالعربية فلم يفهـم، فأخـذ العامل الأول يترجم لـه، وحين ينشغل عنا أقـوم باستخدام الإشارة لمعاونته على الفهم مع استمراري على استخدام العربية. ولما انتهينا طلبـت منه إخباري بإجمالي الحساب، فقـال بالإنجليزية: مائة، فتظاهرت بعـدم الاستيعـاب، فلوح بالآلـة الحاسبة كـي أقرأ منها الرقـم، فدفعت له الحساب وطفقت بالخروج، وحينها قلـت له بالإنجليزية: (يجب أن تتعلم العربية، يا صديقي)، حينها ابتسم وأدرك المغزى. وجلسة أخرى جمعتني بمجموعـة من الشباب المتخصصين بالحاسـب الآلي والبرمجة، فرأيت منهم جرأة غـير محسوبة في (التعريب القسري العشوائـي) للكلمات الأعجمية وعجنها مع العربية، لتخرج لغة مهجّنة مشوّهة. فرجوتهم بعدم فعل ذلك، فاللغة الأجنبية نستخدمها وفق إطارها اللغوي بحسب الحاجة، أما استيراد

الكلمات الأجنبية وتعريبها على هذا النحو الفوضوي، فأمر لا يجوز البتة.

هـذه القصص –وأمثالها كثـير– تشعرني بخيبة كبـيرة، إذ كيف نرضى لأنفسنـا بمثل هذا الهـوان اللغوي المريع، وكيف نسمـح لأنفسنا باقتراف جرائم بحق لغتنا/هويتنا؟ وهنـا أستدعي ما يراه عبدالسلام المسدّي حيث يقرر بأن العداء الخارجي ليس هو الأخطر على اللغة العربية، إذ الأشد خطراً وفتـكاً بها هو لون من العـداء الداخلي أو ما نعته بـ(آليـة النسف الداخلي التـي تهدد اللغـة العربية بالانفلات الذاتي على يـد أبنائها وعلى مرأى من ساسة أبنائها)[1].

انتهاكات هويتنا الناطقة –الضاد– كبيرة ومخيفة بالفعل، ولعلي أعرض– على عجالة– بعض تلك الانتهاكات في بعض السياقات الحياتية المباشرة عبر المحاور التالية:

1. انتهاكات ثقافية وفنية

الفضاء الثقافي والإبداعـي نفسه لم يسلم من التعديات على اللغة العربية، وقـد حذّر المسدي من خطورة ما أسماه بـ(تلهيج الثقافة)، وله صور شتى، ومنهـا أن المثقف والمبدع يقدم نتاجه الثقافي والإبداعي بالعربية الفصيحة، ثـم يتحدث عنـه بالعامية، ويواصل بالقـول: (إن المثقف الـذي يدير شأنه الفكري والأدبي والإبداعي بلغته القومية وهو يخط ويكتب ويدون وينشر

(1) المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص 26.

ويساجل، ثم إذا حاور أو ارتجل أو تحدث عبر أمواج الأثير أو على شاشات المرايـا توسل باللهجة، لهو مثقف متواطئ على ذاته الثقافية، ولا يعنيك منه ما قد يبدو عليه من نزعة المجهود الأدنى انسياقاً مع الكسل الذهني أو اتقاءً لركوب المحاذير. إنه يحوك المشهد الأول من تراجيدية الانتحار اللغوي).[1]

وكما لُهّجت الثقافةُ تم (تلهيج الفن) -كما يقول المسدي-، فالعامية هي السائدة في معظم النتاج الفني في عالمنا العربي، وإن حدث وتم تطعيم العمل الفني بالفصيح العربي فيكون ذلك بطريقة مقززة في الأغلب. ومنها المشهد التقليـدي لمأذون الأنكحة. ففي ذلك المشهد ينقلب الحديث فجأة إلى اللغة العربيـة (وهي عربيـة متلكئة، يغمرها طلاء مزيف مـن بلاغة ثقيلة، توحي بالسماجة)[2]، وفي مشاهد أخرى نجد أن اللغة العربية الفصيحة يتم إقحامها بشـكل مقرف في بعض المشاهد التي تصور حال بعض المتلبسين بالعنف- الإرهاب، وكأنه يراد تشكيل صور نمطية ذهنية سلبية عن هذه اللغة. وإن لم يكـن هذا المقصود، فعلام يفعلون كل هذا؟ أهم يجهلون نظريات الارتباط الشرطـي -على سبيل المثال- التي يدرسها الطلاب الصغار في علم النفس؟ والتـي تؤكد وجود حالة من الاقتران الشرطـي بين أمرين يحدثان في وقت واحـد لعدة مرات. أيبلغ عندهم الجهل إلى هذا الحد؟ أياً كان أمرهم، فمثل هذه الممارسة الوقحة يجب التصدي لها بحزم كافٍ، فلغتنا لا نساوم عليها، ولا نبيعها بثمن بخس ولا باهظ.

---

(1) المرجع السابق، ص 35.

(2) المرجع السابق، ص 139.

2. انتهاكات افتراضية

ثمــة تحديات ومخاطر تتهدد اللغة العربية في العالم الافتراضي (الشابكة أو الإنترنت)، ومن أبرزها، الاستخدام المفرط للكلمات الأعجمية، مع توجه البعضــ إلى استخدام مــا بات يعرف بـ(العربيزي)[1]، وهــي تشير إلى اللغة المهجَّنــة التي يلوكهــا أبناء العرب في العالم لافتراضــي وفيه تتداخل المفردة الأجنبيــة في نسيج بنيــة اللغة العربية مع استخدام أحــرف لاتينية في كتابة الكلمــات العربية أو ظاهرة كتابة العربية بحــروف لاتينية أو العكس، أي كتابــة الكلمات الأعجمية بحــروف عربية. وتلك الظاهــرة جد خطرة، حيث تــؤدي –ضمن أشياء أخرى– إلى حقن البنــاء اللغوي للعربية بمئات بــل آلاف الكلمات الأعجمية خلال فترات وجيزة[2]، وهو حقن عشوائي مربك للغة العربية وموهن لقدراتهــا وفعاليتها ومشوه لبنائها ومنظومتها، بسبــب عدم التزامه بالمعايير والشروط والطرائق المقننة لعمليات (الاقتراض اللغوي) و(التعريب)، كما أنه يحدث دونما ضرورة لغوية أو ثقافية، ومما لا شك فيه أنه يحمل فيروسات لغوية مدمرة. والأجيال الجديدة بحاجة ماسة إلى مــن يرفع رصيدها من (الأنفة اللغوية)، وذاك كفيل بجعلهم يحجمون عن اقتراف مثل تلك الجريمة الثقافية بحق الضاد، وهذا يستلزم تعبئة فكرية عقليــة وجدانية ذكية تتأسس علــى العلوم الاجتماعيــة والإنسانية الحديثة كعلــم النفس المعرفي وعلم النفس اللغوي وعلــم الاجتماع اللغوي، على

(1) المنصور (2012)، من استعمالات اللغة المحدثة (العربيزي)،

(2) سراج (2012)، الشباب ولغة العصر.

أن نستغـل وسائـط وتقنيات الإعلام الجديد، فمقطـع مميز في (اليوتيوب) يمكن أن يحقق مـن النتائج المثمرة ما لا تحققه عشرات الكتب والدراسات ولمقالات، لا سيما مع ضعف السلوك القرائي لدى الجيل الشاب.

ومـن زاوية أخرى، أشير إلى أن ثـورة الاتصالات والثورة التقنية أوجدتا ظواهـر وإشكاليات لغوية جديدة، ومنها أن عالمنـا المعاصر صنّع ما أحب تسميتـه بـ(لوحة مفاتيح كونيـة)، وهذه اللوحة أسهمـت في نقل (الفعل الكتابـي) من كونه (فعلاً نخبويـاً) إلى (فعل شعبوي)، وهذا يعني –ضمن أشيـاء كثيرة– أن مختلف الفئـات الشعبية باتت تمتلك قـدرة على التأثير لا علـى (اللغة المنطوقة) فحسب، بل على (اللغـة المكتوبة) أيضاً، وكل ذلك مؤذن بتزايد التهديدات اللغوية وآثارها المدمرة على أبنية اللغات وتماسكها، فالعامـة بطبعهـا تستسهـل الأخطاء اللغويـة ولا تعبأ بها، بـل تراكم تلك الأخطـاء وتعمل على توثيقها ودحرجتها، لتشوه اللغات وتدفعها إلى نوع من التشظي وربما الانتحار اللغوي. وهنا تكمن خطورة قاتلة. ولنأخذ مثالاً واحداً على ذلـك، فلوحة المفاتيح الكونية دفعت بالكثيرين إلى فعلٍ كتابي مشوهٍ لآية قرآنية كريمة، حيث وجدت تناقلاً لخطأ شنيع في قول الحق تبارك وتعالى في سـورة الأحزاب (25): (وكفى الله المؤمنـين القتال)، فكثيرون يضيفـون كلمة (شر) لتصبح (شر القتال)، وقد أظهر محرك (قوقل) أن ذلك الخطـأ وقع فيما يقـارب 36 ألف حالة كتابية، في حـين أن الصواب يقدر بنحـو 56 ألف حالة فحسب، وربما يغالب الخطأ الصواب بعد زمن قصير، وليتكم تتابعون ذلـك مستقبلاً. بل إنه قد غلبه فعلاً، فبحذف لفظ الجلالة

(الله) مـن النص غير الصحيح، يظهر محرك (قوقـل) أكثر من 49 ألف حالة كتابية تتضمن ذلك الخطأ الشنيع (شر القتال). وهذا يعني أن الفعل الكتابي الخاطئ قد تغلب فعلاً على الصحيح بنحو 30 ألف حالة كتابية، وهو في نمو مطـرد كما يبدو، وذاك كان إزاء جـزء مقدس من الضاد (=النص الديني)، فما بالكم بالجزء غير المقدس منها؟[1]

3. انتهاكات تجارية

الانتهـاكات في فضاء التجـارة والأعمال ضخمة وخطـيرة جداً، وهي تتوسل بالبعد النفعي بصورة وقحة ومجافية للأخلاقية والعقلانية والتوزان. ومـن الممارسـات المجحفـة في حق اللغـة العربيـة أن بعضـ المؤسسات والشـركات تتوجـه بشـكل مخيف لاستخـدام أسمـاء أعجميـة لمنتجاتها وللدعايـة والإعـلان[2]، وعلى رأسهـا شركات الاتصـالات، وكتابة تلك الأسمـاء الأعجمية بحروف عربيـة[3]، ما يعني إقحامهـا في البناء اللغوي للضـاد ومحاولة إكراهها على تجرعهـا وهضمها بشكل جائر، فليست ثمة

(1) تاريخ البحث في قوقل 2012/4/20م، الساعة 2 فجراً.

(2) انظر مثلاً: أبو غريبة (2012)، العولمة وأثرها على اللغة العربية.

(3) بعضهـا استبدلت اسمهـا العربي الجميل بعد سنوات من النجاح والأرباح باسم أجنبـي وبأحرف أجنبية أيضاً (منها شركة الاتصالات السعودية، حيث أسمت نفسها شركة إس تي سي STC). ولست أدري كيف يسمح لها بهذا العبث؟ وكيف نتسامح نحن معه؟ في مدينتي – بريدة في العربية السعودية– هنالك أسماء أعجمية كثيرة لمؤسسات ومحلات، وهي ليست فروعـاً لشـركات أجنبية، وهي ظاهـرة متزايدة، ولعلي ألتقط أربعـة أسماء موجودة في شارع واحـد: هنالك مطعم باسم (بيـور) وقـد وضع في اللوحة ما يلـي: .Pure Sea Food وثمة مطعم آخـر باسم (مليكون)، وقد كتـب أيضاً بحروف أعجميـة، هكـذا: Melicon. ووجدت محلاً للحلويات باسـم Sheed مع وضع الاسم بحروف عربيـة، هكذا: (شيد). ووقعت عيناي على محل آخر للحلويات باسم (بوفارديا).

أدنى حاجة لاستخدام تلك الكلمات الأعجمية، فنحن لا نتحدث هنا عن مخترعـات جديدة تفرض أسماءها علينا، لنقول إنها لغة القوي الذي يصنع ويخترع، وما لنا حيلـة سوى قبولها بكيانها وأسمائها، كما أننا لا نحكي عـن مصطلحات علمية أعيتنـا تعقيداتها عن ترجمتهـا أو تعريبها بطريقة مقننة، وإنما نتحدث عن (مجرد) خدمات عادية تقدمها شركات الاتصالات وتختار لهـا عن قصد اسماً أعجمياً، مع وجود ووضوح الكلمات العربية المناسبة. فمثلاً عندما تطرح شركة اتصالات ما –على سبيل المثال– (شريحة صغيرة أو مصغرّة للمحمـول)، ففي تلك الحالة نجد أنهم يسمونها Mini، ويتجـرؤون ويكتبونها بحروف عربية، هكذا (ميني)، وهي كلمة إنجليزية تفيد معنى (الصغر)، وبهذه الممارسة المنكرة يُقحمون هذه الكلمة الأعجمية (مينـي) في جسد اللغة ويدفعـون المئات منا لنطقهـا واستخدامها عوض استخدامنـا لكلمة (صغيرة) أو (مصغّـرة)؟ ويتكاثر استخدامها في حياتنا وفي وسائط الإعلام القديم والجديد معاً، حتى تغلب وتسيطر على الأدمغة والألسن، ونحن بطبيعة الحال إزاء مئات بل آلاف الكلمات الأعجمية التي يتم حقنهـا في أدمغتنا وألسنتنا دونما حاجة، فمـاذا عسانا نستفيد؟ بل أي ضـرر يلحق بنا من جراء مثل هذه الممارسات المنتهكة للتشريعات والمعاندة للأهداف المتوخاة للحفاظ على السيادة اللغوية للضاد؟

ومن الانتهاكات أيضاً، ما يتعلق بالإعلانات، فأكثرها تتكئ على اللهجة العاميـة وتهجر الفصيـح، ومؤدى هـذا أن تلك الوسائل تقـدم لنا تدريباً مكثفاً على تذوق العاميـة بل اللغات الأجنبية أيضاً، في سياق لغوي ثقافي

كارثي. هل يعني كل ما سبق أن التجارة والأعمال اعتنقت العامية وكفرت بالفصيـح؟ قد يعتقد البعض أن ذلك راجع لعـدم وجود تشريعات صارمة تمنع تلك الممارسات الجائرة والانتهاكات اللغوية الثقافية المتنامية، والحقيقة أن التشريعات العربية بشـكل عام متوافرة، متضافرة؛ لحماية جناب الضاد وصيانتهـا وضمان عـدم التعدي على سيادتها اللغويـة، ومنها التشريعات السعودية، ولعلي أقف على بعضها كما في النقاط التالية:

أولاً: نصت المادة الأولى للنظام الأساسي للحكم على أن المملكة العربية السعودية دولـة عربية إسلامية وأن لغتها هي اللغـة العربية. إذن لدينا مادة دستورية بهذا القدر من الوضـوح والإلزام باللغة العربية، ولو لم يكن لدينا إلا تلـك المادة الدستورية لكانت كافية وملزمة للجميع بشأن اللغة العربية، ولكـن المشرّع السعـودي -ويُحسب له ذلك- لم يكتـف بذلك، بل راح يضـع مواد تشريعيـة تفصيلية، كي لا يكون لأحد حجـة واهية للتهرب أو التملص مـن الاستحقاقات اللغويـة، وفي البنود التالية بيـان لبعض المواد التشريعية التفصيلية في مجال الأسماء التجارية وما يلحق بها.

ثانيـاً: أصـدر مجلس الوزراء السعـودي قراراً حمل الرقـم 133 في اليوم السابع من شهر شعبان للعام الهجري 1420هـ، وهو خاص بـ(نظام الأسماء التجاريـة)، وقد توّج بمرسوم ملكي رقم م/15 بتاريـخ 1420/8/12هـ. وقد نصـت المادة الثالثة في نظام الأسماء التجارية على الآتي: (يجب أن يتكون الاسـم التجـاري من ألفـاظ عربيـة، أو معربة، وألا يشتمـل على كلمات أجنبيـة، ويستثنى مـن هذا الحكم أسمـاء الشركات الأجنبيـة المسجلة في

الخارج، والشركات ذات الأسماء العالمية المشهورة، والشركات ذات رأس المال المشترك (المختلطة) التي يصدر بتحديدها قرار من وزير التجارة).

ثالثاً: وردت عديد من التشريعات التي تنص على وجوب استخدام اللغة العربيــة في مواضع تشريعية أخرى، ومن ذلك ما يلي: القرار الوزاري رقم (120) وتاريــخ 1422/1/16هـ، وهو خاص بالأسماء التجارية في المكاتب المهنيــة، وقــد تضمن في مادته الثالثة ما نصــه: (أن يكون الاسم المبتكر من ألفاظ عربية، أو معربة، وألا يشتمل على كلمات أجنبية إلا في حالة وجود شريك مهني أجنبي في نفس التخصص).

إذن، ثمة تشريعات تمنع كثيراً من تلك الممارسات الرديئة، فلماذا يسكت عن تطبيقها في الوقت الذي تذبح فيه اللغة العربية من الوريد إلى الوريد؟

4. انتهاكات رياضية

يتوهم البعض أن الخطاب الثقــافي منصرف لفئة محددة، وهذا خطأ بيّن، فالثقافة يبنيها الجميع ويهدمها الجميع أيضاً. وعليه فإنه لا أحد مستثنى من الخطــاب الثقافي بكل مفرداته ومقوماتــه واستحقاقاته وتكاليفه. ومن هنا يتوجــب علينا الالتفــات إلى كافة الفضاءات الاجتماعيــة المهمشة، ومنها الفضــاء الرياضي. نحــن نتطلع جميعــاً إلى جعل الرياضة منشطــاً إنسانياً حضارياً؛ يتجاوز كونه مجرد ألعاب تُقتل فيها الأوقات، فالرياضة أسمى من ذلــك وأرقى، كما غدت الرياضة أداة للتعارف فيما بين الشعوب وتكوين الصداقــات والعلاقات في سياق عالمي. ويضــاف إلى ذلك، تحصيل جملة

مـن المنافع الاقتصادية عبر المشاريع التـي تخلق الوظائف وتدر العوائد عبر صناعة رياضية متكاملة. ولرياضي أن يتساءل: وما دخلنا نحن الرياضيون بتهديدات اللغة العربية رحمك الله؟ سأجيب عن هذا السؤال في الجزء التالي.

الرياضيـون لهم شأن مع اللغة العربيـة، كشأن سائر الفئات الاجتماعية. وهنالـك تهديدات للغة تصدر منهم علـى وجه التحديد. قد يقال: كيف، والرياضيـون مسالمون وطيبون؟ بالتأكيـد إنهم كذلك، ولكن الكثير منهم بـدأ يتساهل في الرطانة بالكلمات الأعجمية دونما حاجة، وغزت الساحة الإعلاميـة الرياضيـة عشرات الكلمـات الأجنبية، علـى الرغم من وجود كلمات عربية أصلاً لتعبر عـن المعنى المراد، وربما البعض يحتج بأن هنالك كلمات أعجمية جديدة جاءت من باب التقنية الحديثة، الأمر الذي يجبرنا علـى الخضوع لهـا واستخدامهـا. وهنا أقـول، وأنا متابع جيـد للساحة الرياضية، إننا أمام نوعين من الخروقات اللغوية في الساحة الرياضية. دعوني أعرض بشكل مبسط هذين النوعين:

النوع الأول من الخروقات اللغوية في المشهد الرياضي يتمثل في استخدام الكلمات الأعجمية في الجانب التقني والإعلامي، دون أن يقوم الرياضيون بمـا يجـب للحصول على ترجمـات ملائمة مـن الجهات المعنيـة بالمسألة اللغوية. وتلك الكلمات الأعجمية متكاثرة جداً، وأكثرها يسهل ترجمتها، ولعلـي أورد بعض تلك الكلمات التي تشيـع على ألسنة بعض الرياضيين، علـى أنني سأكتبها بحروفها اللاتينية، فالأصل أن تكتب بحروفها الأصلية (الإنجليزية) لئلا نسهم في حقن لغتنا بها. إليكم بعض الأمثلة التي تحضرني،

وإلا فهي كثيرة: Mix Zone، Focus، Interview

النـوع الثاني من الخروقـات اللغوية وهو الأخطـر والأشنع، ويتمثل في استخـدام كلمات أعجميـة وهجر كلمات عربية كنـا نستخدمها لفترات طويلة في الساحـة الرياضية، فبعض المعلقين والمحللين الرياضيين مالوا إلى تغليب كلمات أعجمية على حساب الكلمات العربية المستخدمة أصلاً في الماضي. دعوني أضرب على ذلك بعض الأمثلة:

- بدلاً من كلمة (ضغط) – في الهجمة مثلاً – بدأ البعض للأسف يستخدم كلمة Pressing!
- كنـا لا نستخدم غير كلمة (مدرب)، أما الآن فقد أصبح البعض يتبجح باستخدام الكلمة الأعجمية Coach.
- إلى عهد قريب كان المعلقون يلتزمون باستخدام كلمة (إنهاء الهجمة)، وفي هذه الأيام بدأت آذاننا تصك بعُجمة لا مبرر لها عن طريق استخدام كلمة Finishing، ومثلها كلمة Extra time عوض (وقت إضافي).
- بدل كلمة (قمة) شاع استخـدام وكتابة كلمة (ديربي)Derby، لدرجة أننا لم نعد نسمع أو نشاهد كلمة (قمة) في الساحة الإعلامية الرياضية. وقد حدثتني إحدى طالباتي التي تخرجت من (الماجستير) بأنها كانت تعتقد بأن كلمة (ديربي) عربية فصيحة؟!

وما سبق يؤكد خطورة التساهل باستخدام مثل تلك الكلمات الأعجمية، فالكلمة الأعجمية تطرد الكلمة العربية وتقضي عليها بضربة قاضية. وهذا موجع مفجـع. فكم من الكلمات العربية ستتـوارى عن الأنظار وتسحق بهذا اللون من (التعدي اللغوي) (والتجاوز الثقافي)؟ ولأي شيء ندفع مثل هذه التكلفة من هويتنا وثقافتنا؟ بل ومن تفكيرنا أيضاً؟ فالكلمة الأعجمية لا تخلق شجـرة أو سلسلة دلالات أو (خواطـر ذهنية) في العقل، بعكس الكلمـة العربية لأنها لغتنا، ومثل تلك الشجـرة أو السلسلة أو الخواطر قد توصلنـا إلى فكـرة مفيدة في أكـثر من جانب (وهذا مبحـث معمق، يعنى بمسألة اللغة والتفكير، وليس المجال متاحاً للتفصيل).

الفصل الثالث

معيقات هويتنا الناطقة

اللغـة جـزء رئيس من هويـة أي مجتمـع، وبقدر ما يفـرط المجتمع بلغته يفـرط في هويته ويعرضها للمسخ والتشويه، وهي شرط ضروري للنهضة، واللغـة العربية تتعرضـ لهجمات عنيفة وإقصاء مخيف مـن المشهد الثقافي والاجتماعـي، فضلاً عن المشهد العلمي، ولم نعد نجـد اهتماماً كافياً لتعلم العربية وقواعدها وآدابها وفنونها بين أبنائنا وبناتنا، وشاعت الأخطاء اللغوية وأبحنا لأنفسنا إقحـام مئات الكلمات الأجنبية –وبالذات الإنجليزية– في العربية دون أي مراعاة لاشتراطات ذلك، في ظاهرة (تعجيم العربية)، وهي كارثة فكرية كبرى.

(ديفيد كريستال)[1]، اللسـاني البريطاني صاحب الكتاب الشهير (موت اللغـة) أورد مثلاً ويلزياً[2] يقول: (الأمة بدون لغـة هي أمة بدون قلب)[3]، والأهـم أنـه يقرر بأن: الأسلـوب الذي ينظر به المجتمع نحـو لغته، وقدر الاعتزاز والاستمتاع والعناية باستخدامها –كلاماً وقراءة وكتابة– والإصرار علـى ممارسة الإبداع داخل حدودهـا، والحرص الشديد على عدم خلطها بغيرهـا من اللغات وعـدم هجرها أو تفضيل غيرهـا عليها، كل ذلك يعين علـى تعزيز مكانة اللغة وحفظها وزيادة قدراتها الذاتية على مجابهة أسباب

---

(1) David Crystal، مولود 1941م، وقد ألّف وحرّر أكثر من مئة كتاب.

(2) مقاطعـة ويلز، مقاطعة تقع جنوب المملكة المتحـدة، ولأهلها لغة تخصهم (لغة ويلز)، مع تحدثهم اللغة الإنجليزية باعتبارها اللغة الرسمية.

(3) Crystal (2000)، Language death، p. 36.

تقويضها وفَناهـا.[1] ولا يكتفي كريستال بذلك، بل يشدد على أن الحفاظ على اللغة يتطلب التزاماً وشعوراً بالمسؤولية المشتركة لصيانة اللغة والمحافظة عليها وإنمائها، مع وجوب وضوح الرؤية وتفعيل المهارات في وضع خطط عملية وتنفيذها بإحكام.

إن ترسيخ الهوية الناطقة ليس بالأمر الميسور ولا بالمباشر، ولا هو محفوف بالورود بل بمجموعة من المعيقات ذات الطابع المجتمعي والشخصي على حد سواء. وسيكون لي وقفة سريعة في هذا المبحث مع بعض تلك المعيقات، وذلك كما في المحاور التالية:

1. عدم إدارة الصراع الهوياتي

الفيلسوف الألماني جوهان فيخته (1762–1814) يقرر (إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكوّنون كلاً موحداً ربطته الطبيعة بروابط متينة)[2]. وتفيد دراسات عديدة أن اللغة تمنح أو تعزز معاني الوحدة والتماسك عبر بناء (الهوية اللغوية الجماعية) والمحافظة عليها. وهنا يتخلق سؤال: ما دوائر أو حدود تلك الهوية؟ أهي الثقافة أم الدين أم العرق أم الدولة أم المنطقة؟ أم هي خليط بطريقة معقدة من هذا وذاك؟ هل ثمة حالة عامة تصبغ جميع الأفراد المنتسبين إلى الجماعة أم هي حالات خاصة بشرائح أو أشخاص معينين على نحو يمكّننا من توقع وجود ما يشبه (البصمات اللغوية) لدى الأفراد أو (الجماعات الصغيرة) في محيط المجتمع الكبير؟

---

(1) p. 81

(2) جمعة (2008)، وعي اللغة العربية وتمكينها حاضراً ومستقبلاً.

عـدة باحثين يشددون على أهمية (الهوية اللغوية الجماعية)، مع الإشارة إلى وجـود صراع (خفـي) أو (ظاهر) بـين (الهوية الشخصيـة) و(الهوية الاجتماعية)[1]، وذلك أن (الشخصية) تنزع نحو ما يرسّخ علو كعبها وأنها (الأهـم) في حين تجهـد (الاجتماعية) إلى انتزاع السيـادة والغلبة، لاسيما أنها هي المسؤولة عن ربط (الفرد) بـ(الجماعة). ويمكن تشبيه ذلك الصراع بمـا يحدث في الفريق الرياضي، حيث يجهـد الفريق كتشكل جماعي إلى تسجيل أهداف لتحقيق الانتصار على (الخصم)، ومع ذلك فإن الهدف لن يسجل باسم الفريق ككل، وإنما باسم من أفلح في تصويب الكرة في المرمى، حافراً اسمه على جدار المجد الشخصي وليس الجماعي، وهذا ما يدفع إلى وجود صراع بين (مصلحة الجماعة) و(مصلحة الفرد)[2].

ومما يؤكد علـى الصراع بين (الهوية اللغوية الجماعيـة) و(الهوية اللغوية الفرديـة) أن (الفرد) عادة ما يطور ما يسمى بـ(اللهجة الفردية) Idiolect[3] التـي تمنحـه الفرادة بين الناس سواء في الجوانـب الصوتيـة أو الصرفية أو النحويـة أو الأسلوبية، وهو ما يشكّل له ما يعـرف بـ(الذخيرة اللغوية)[4]، والمعضلـة هنا أن الإنسـان يأنف من أن يُضار في حـدود ما يعتبره (سيادته اللغويـة الشخصية) مقابل (السيادة اللغويـة الجماعية) لجماعته التي ينتمي

---

(1) انظر مثلاً: زايد (2006)، مرجع سبق ذكره.

(2) Quirk (2007)، Language and identity

(3) المرجع السابق.

(4) Linguistic Repertoires،وتشير الذخيرة اللغوية إلى مجمل القوالب والسمات اللغوية التي يمتلكها الشخص (أو المجتمع) انظر: Gumperz، J. and Hymes، D. (1964)، The ethnography of communication

إليها، ومن ذلك إيمانه بأنه يحق له (الاقتراض اللغوي)[1] كما يشاء، دون أن يتحمل سداد تكلفة الاقتراض.

وهنالك سؤال يصعب التغافل عنه وهو يتعلق بتعريفي المقترح للغة، وتحديداً بـ(الهوية الناطقة)، أهي منحصرة بـ(الهوية الشخصية) أم بـ(الهوية الاجتماعية)؟ ولعلي أعيد طرحه وفق فكرة معمقة تناولها أحمد حيزم، وهي ذات دلالة بليغة في مسألة الصراع الهوياتي، ويمكن اختصارها كما يلي: الهوية رهان الكتابة، ولكن هوية مَنْ؟ هوية الملفوظ (=اللغة) أم هوية المتلفظ (=مستخدم اللغة) [2]؟

بإيجاز، أقول بأنها تحتمل النوعين معاً، فهي تعكس (الذخيرة اللغوية) التي اكتسبها الإنسان من سياقاته الهوياتية الشخصية والاجتماعية على حد سواء. مع اصطحاب احتمالية أو حتمية الصراع الهوياتي الذي سبقت الإشارة إليه. وبخصوص مثل ذلك (الصراع الهوياتي)، يشير بحث تطبيقي إلى أن أغلبية الأطفال والشباب العرب الذين يعيشون في إسبانيا يتحدثون بالعربية مع آبائهم وليس مع إخوتهم أو أصدقائهم، حيث يفضلون الإسبانية أو لغات أخرى كالفرنسية، وقد أبانت دراسات مسحية أن أقل من 20٪ من الجيل الثاني من الشباب المغاربة المهاجرين يستخدم اللغة العربية، الأمر الذي يستجلب (أزمة الهوية) من جديد[3]. وباحث آخر يشير إلى ذات النتيجة

---

(1) من المهم ملاحظة أن الاقتراض اللغوي Borrowing قد يكون جماعياً أو فردياً، الخولي (1989)، مرجع سبق ذكره.

(2) حيزم (2007)، مرجع سبق ذكره، ص 69.

(3) (2009)، Plann، Arabic: another (other Spanish language

في الولايـات المتحدة الأمريكية، بل إن بعضهـم يتعمد التخلي عن العربية بحثاً عن (ذات جديدة)، لأسباب من ضمنها تجنب الحركات المتطرفة ضد العـرب في أمريكا، مع الإشارة إلى أن الإسلام يلعب دوراً كبيراً في الحفاظ على اللغة العربية، وبالذات ما يتصل بقراءة القرآن الكريم والسنة المطهرة[1].

تبايـن الهويات من جهة ذخائرها اللغوية، يعني أننا قبالة لون من الصراع -المحتمـل أو المحتوم- بين لغات الهويات الجماعيـة والفردية، وذلك أن لكل هوية لغة أو تفضيلاً لغوياً على أقل تقدير، فالهوية اللغوية الفردية تميل إلى (هوية المتلفظ) بخلاف الجماعية التي تميل إلى (هوية الملفوظ)، وما سبق يجرنا إلى التشجع على طرح ثلاث قواعد أساسية:

- (لغة الإنسان تابعة للهوية التي يرتضيها)،
- (لكل هوية ذخيرة لغوية)،
- (كل هوية تدفع الإنسان إلى تعظيم الانتفاع من ذخيرتها اللغوية).

ويمكن طرح العديد من الشواهد والأمثلة التي تؤكد مسألة الصراع المحتمل أو المحتـوم. لنتخيل -مثلاً- أننا إزاء إنسان كردي، مسلم، وجنسيته تركية. هنا نكون قبالة ثلاث هويات على الأقل: هوية وطنية وتقتضي اللغة التركية، وهويـة قومية وتقتضي اللغـة الكردية، وهوية دينية وتقتضـي اللغة العربية. ولذلك تم بلورة مصطلحات عديـدة في الأدبيات المتخصصة لتعكس أبعاد ذلك الصراع ومنها: (الاعتزاز الإثني) مقابل (الهوية الدينية)[2].

---

(1) Seymour-Jorn، op. cit.

(2) (2009)، Jaspal and Coyle op. cit.

ويمكن أن يقال إننا نتحدث عن إشكالية الهوية في الإطار العربي على وجه التحديد، الذي يخلو من الهويات الفرعية السابقة، حيث تتحد تلك الهويات من جهة طلبها للغة العربية واعتمادها عليها لتشكل (هوية جماعية)، متناغمة مع (الهوية الفردية). صحيح أن ذلك الاتحاد حاصل، ولكن احتمالية الصراع قائمة لأسباب عديدة، ومنها ما تعانيه اللغة العربية المعاصرة من (الثنائية اللغوية) والتي أدت إلى استفحال الفجوة بين اللغة الفصيحة والعاميات، كما أنها تئن من (الازدواجية اللغوية) (اللغة العربية مع اللغات الأجنبية)، وهي أشد ضرراً من الثنائية اللغوية لأنها لا تفسد اللسان فقط وإنما تمارس سحقاً للفكر وتهريباً لثقافة الآخر[1]، من الباب الذي يصر البعض على جعله (قصيراً)، وهو اللغة. ولإيضاح أبعاد الاحتمالية الفارطة، تصوروا أن لدينا عربياً مسلماً يتاجر في مجال التقنية المعلوماتية، فهنا نجد هويات فرعية أيضاً ومن ثم صراعاً محتملاً أو حتمياً، حتى مع فرضية اتحاد الهويات الثلاث: الوطنية والقومية والدينية. ففي هذه الحالة، لدينا (هوية جماعية) تستلزم اللغة العربية الفصيحة و(هوية فردية) تفضل العامية، وهنا جزء من الإشكال (معضلة الثنائية اللغوية). ومن جهة أخرى، لدينا أيضاً (هوية فردية) ذات طابع مهني أو تقني وهي تتطلب استخدام (ذخيرتها اللغوية) التي تسوّق لها بضائعها وتدر عليها أرباحاً، وهي في الأغلب (الإنجليزية) في المشرق العربي، والفرنسية أو الإسبانية في المغرب العربي (معضلة الازدواجية اللغوية). ومما يعضد الملاحظة السابقة ما

(1) عبدالواحد (2007)، اللسان العربي: الحاضر والآفاق.

يذهــب إليه أحد الباحثين العرب حيث يقــرر: (إذا كان الألمان والإيطاليون والفرنسيون والأسبان مثــلاً يعرفون بتلقائية هويتهم في المقام الأول بلغاتهم الوطنية، فإن الازدواجية اللغوية والثقافية للتونسيين المتعلمين لا تكاد تسمح لهم بربط هويتهم بوضوح وبسهولة باللغة العربية)[1].

والخلاصة، أننا على درجة كبيرة من الضعف في إدارة (الصراع الهوياتي)، بــل إننــا في أحايين كثيرة، لا نصل إلى مرحلة الوعــي المتعمق بالإشكالية من جذورهــا ولا نحيط ببواعثها الكبرى ولا بمغذياتها المباشرة وغير المباشرة، مما يدمــغ تفكيرنا ومن ثــم سلوكنا بتصرفات وردود أفعــال ساذجة أو ضعيفة. ولكــي نقــوي أنفسنا في مجــال إدارة مثل ذلك الصراع، فإنــه يتوجب علينا مراعــاة البعد النفعي (البرغماتي) في مسألة اللغة والهوية على نحو ما سأبينه في المحور التالي.

2. عدم تفعيل البعد النفعي لترسيخ الهوية اللغوية

صحيــح أن نظرتنــا للغة تنطلق في الجوهــر من الثقافــة والهوية، غير أن ثمة أبعــاداً نفعية يمكننا تفعيلها، وبخاصــة أن (اللغة هي الحامل الضروري المحايث لــكل إنجاز تنموي)[2]، وقد جهد البحــث العلمي لإثبات حقيقة التواشج بين استخدام (اللغة الأم) وتحقيق (التنمية) بمختلف مساربها، وقد تأسس ذلك الإثبات على ثلاث حقائق كبرى:

---

(1) الذوادي (2005)، مرجع سبق ذكره، ص 61.

(2) المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص 21.

الأولى: أنــه لا إبداع دون توسل الإنســان والمجتمع بلغته الأم[1]، وذلك أنها هي المحفز على التفكــير الخلاّق المنتج، وهي القادرة على إعانة العقل علــى بناء منظومــة من المفــردات والمصطلحات والأفكار التــي من شأنها تعميــق الإدراك للمشكلة وتشخيصــ أسبابها وبلورة حلــول عديدة لها. وهنالك تجارب عديدة تؤكد دقة هذه الملاحظة كالتجربة اليابانية والكورية والصينية، وقد أظهرت تجارب أخرى توجهاً نحو اعتماد لغة رسمية واحدة في حالة تعدد اللغــات في الدولة بغية اعتمادها لغة للتعليم والترجمة، كما في ماليزيــا وسنغافورة وهونغ كونــغ وتنزانيا[2]. وحين نستدرج صفحات التاريخ، ندرك أن البداية العلمية للعرب كانت مع حركة الترجمة نحو سنة 85هــ –بداية القرن السابع الميلادي–، ولم يحقــق العرب شيئاً مذكوراً في إنتــاج العلم والإبداع فيه إلا بعد أن فكروا بلغتهم، لدرجة أن (جوتيه) قال بأن (العرب علمونا صنع الكتاب وصنع البارود وصنع إبرة السفينة، فعلينا أن نفكر ماذا كانت نهضتنا لو لم يكن من ورائها هذه المخلفات التي وصلتنا من المدنيّة العربية)[3].

والثانيــة: أن اللغــة الأم تعين علــى الانتقال إلى (مجتمــع المعرفة) وتحقيق مقومات (الاقتصاد المعرفي) الذي يقوم على المعرفة؛ خلقاً وابتكاراً وتطبيقاً ونشــراً وتخزينــاً وإدارة، مع اهتبــال فرص تحقيق التكامــل على المستوى القومــي وتشكيل سوق اقتصادية قوامها 400 مليون عربي. ويؤكد باحث

---

(1) انظر: بوشيبة (2012)، مرجع سبق ذكره.

(2) المراياتي (2007)، اللغة: الهوية والتنمية.

(3) خسارة (2011)، الكتابة العلمية باللغة العربية قديماً، ص 205–206.

غربي على أن اللغة (رصيد)، إلا أنه يجب ألا يفهم من ذلك أن تعدد اللغات يعني بالضرورة زيادة الـثروات، بل هو على العكس من ذلك تماماً[1]. وفي مقارنـات ذات دلالة جلية يطالعنا ذلك الباحث بنتائج ظريفة، حيث يشير إلى أنـه في العـام 1988 كان الدخل الفـردي في اليابان الذي يمتلك خمسة ألسنة 21020 دولار مقابل 440 في إندونيسيا التي تمتلك 659 لساناً، وحال السويد كحال اليابان من جهة عدد الألسن بدخل يصل إلى 19300 في حين أن غينيا الجديدة حققت دخلاً قدره 880 وهي تتوافر على 843 لغة، والحال ذاتـه نجده في هولندا (ذات الخمس لغات بدخل فردي 14425 كما في عام 1987) مقارنة بالسودان (135 لغة بدخل فردي 480).

الثالثة: يشهد العالم نمواً مطرداً في الطلب على تعلم بعض اللغات العالمية، ذات الفاعليـة الحضارية الكبيرة، وعلى رأسها اللغات الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والألمانية والصينية والكورية، وقد دخلت اللغة العربية على هذا الخـط في الفترة الأخيرة، وتفيـد دراسة أمريكية -أعـدت من قبل جمعية اللغـات الحديثة- بوجود إقبـال كبير على تعلم العربيـة في أمريكا، حيث زاد الإقبـال عن 46٪ بين عامـي 2006 و2010، وقد أوضحت الدراسة أن أعـداد الدارسين لها بلـغ 35 ألفاً في عام 2010 مقارنـة بنحو 10 آلاف في عـام 1998[2]. كما تشهـد تركيا نمواً كبيراً في هذا الصـدد، ومن مؤشرات ذلـك افتتـاح بعض معاهد تعليـم اللغات مسـارات خاصة لتعليـم اللغة

(1) كولماس (2000)، اللغة والاقتصاد، ص 32.

(2) مـع ملاحظة أن الطلب على اللغة الإسبانية في عام 2010 بلـغ 865 ألف طالب، والفرنسية 216 ألفاً، والألمانية 96 ألفاً. انظر: العربية نت (2010)، تزايد الإقبال على تعلم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الأمريكية.

العربية بطريقة احترافية وفي مستويات بنائية تصاعدية، مع الإشادة بالقرار التاريخـي المفصلي لوزارة التربيـة والتعليم في تركيا الـذي اتخذ مؤخراً، القاضي باعتمـاد العربية ضمن اللغات الاختيارية التي يتم تدريسها ضمن المرحلتـين الابتدائية والمتوسطـة، في نهج حضاري مشـرق يستعيد رشده وهويتـه[1]، ويبين حجم الطلب المتنامي علـى اللغة العربية في سياق الدول الإسلامية غير العربية.

ومع كل ما سبق بيانه، نعترف دون مواربة بأن العولمة بجوانبها الاقتصادية والتقنيـة والمعلوماتيـة والثقافيـة تعضـد أهميـة بنـاء (مواطنـين متعددي الألسـن)[2]، ويؤكد باحثـون على أن ذلك يعين على الإبـداع وبناء بعض المقومات الأساسية لـ(مجتمع المعرفة)[3]. هذا لا إشكال كبيراً حوله، غير أننا نشدد على أن يكون ذلك وفق أطر مدروسة، مع اشتراط أن تحقق النفع العام في وقـت لا تخل فيـه بالسيادة اللغوية للضاد في سائـر أراضيها وسياقاتها الوطنية والقومية والدينيـة والحضارية. إذن، أين المشكل؟ الإشكال يكمن في المبالغة في تحصيل اللغـات الأجنبية أو في التحدث بها واستخدامها في سياقات لا تستدعيها أو لا تحقق نفعاً عاماً حقيقياً.

ومـا أروم لفـت الأنظار إليه في هذا الجزء هـو أن تعزيز هويتنا الناطقة – الضاد– يحقق لنـا منافع عظيمة في سائر المجالات وعلى رأسها المجالات الاقتصاديـة والتنمويـة، لاعتبارات عديدة، ومنها علـى سبيل المثال تفعيل

---

(1) البريدي (2012)، لغتكم الحضارية يا أردوغان.

(2) op. cit. Plann (2009)

(3) Skutnabb–Kangas (2002)، Why should linguistic diversity be maintained and supported in Europe، Some arguments

مبـدأ (الإنتاج الوفـير) Large Scale، هذه المسألة تحتـاج إلى مثال عملي، هنالـك محادثة تمـت في الولايات المتحـدة الأمريكية بينـي وبين سعوديين اثنـين، أحدهما متخصص -يحمل الدكتـوراه في علوم الحاسب- ويعمل منـذ عقد تقريباً في (وادي السيلكون) Silicon Valley، ويسكن في مدينة (سـان فرانسسكـو)، والآخر شاب سعـودي يدرس الدكتـوراه في إدارة الأعمال في مدينة (سان دييقو)، حيث كانا يذهبان إلى أن الأهم في المسألة اللغوية هو (الانتفاع المادي) فحسب، ولا شأن لهما بالثقافة والهوية ونحو ذلـك مما يعدانه من الأدوات القديمة للمثقـف المسكين. وحيث أن حديثنا كان في المجـال التقني المعلوماتي والسيناريوهـات المستقبلية، فقد تطرقنا إلى مسألـة ترجمة اللغات الأجنبية إلى العربيـة في الأجهزة الهاتفية الذكية على وجه التحديد، فقال أحدهم: (لو كنت مسؤولاً في مشروع الترجمة، لاخـترت اللهجة العاميـة، كي لا أصدع رأسي باللغـة العربية الفصحى)، فقلـت له: (والهُويـة)، فقال: (لا تهمني!)، قلـت إذن أجب عما يلي: في داخل السعودية: ما اللهجـة التي سوف تستخدمها للترجمة: الحجازية أم النجدية أم الجنوبية أم الشرقاوية أم الشمالية؟ وهل ستتحمل تكلفة الترجمة مـن أجل السوق السعودي فقط أم أنك تستهدف العربي أيضاً؟ وحينها ما اللهجـة التي سوف تعتمدها؟ أهي المصرية أم اللبنانيـة أم العراقية أم اليمنية أم السعوديـة أم البحرينيـة أم المغربية..؟. حينهـا أدركا أن المسالة أعقد مما كانا يتصوران، فتراجعا عـن (التمسك غير العقلاني) ببعض ما يظنانه بعداً نفعيـاً، مع تأكيدي لهما على أن (الهوية اللغوية) لا تخدم (أغراضاً ثقافية)

فحسب (وهي كافية لي ولأمثالي!)، بل هي تدعم قوتنا الاقتصادية وتمنحنا فرصاً مواتية للتكتل والاتحاد والإفادة من (الإنتاج الكبير) ونحو ذلك من المنافع. فمشروع الترجمة مثلاً سيحقق وفورات كبيرة، حيث أنك ستترجم إلى العربية الفصيحة الميسرة التي يفهما العرب من المحيط إلى الخليج، وهذا مجرد مثال تطبيقي على البعد الاقتصادي والتنموي للضاد.

3. عدم التصدي لـ(الرخاوة اللغوية)

جلوساً كنا في قاعة كبيرة لمؤتمر علمي رفيع المستوى، عني باللغة العربية وإشكالية الهُوية، شاركت فيه شخصيات علمية لامعة من أقطار عربية شتى، وأثناء إحدى الجلسات فجّر أحد المشاركين (قنبلة لسانية) بقوله: لدينا مشكلة لغوية يجب التصدي لها، وتتمثل –في رأيه– بوجود كلمات أجنبية لا ننطقها بشكل سليم، وساق لذلك نموذجاً يتمثل في: كلمة (إنجليزي)، واستطرد بالقول إننا نلفظها بـ(الجيم)، مع أنها ليست بالجيم في لغتها الأصلية English، فهي أقرب ما تكون إلى (الجيم القاهرية)، ثم طلب ذلك المتداخل رأي لساني مختص في هذه المسألة وكان حاضراً معنا في القاعة، وعجبت أن الطرح توجه بالقول إلى إن هنالك كلمات أجنبية كثيرة، لا نحسن نحن العرب نطقها كما هي في لغاتها الأصلية، وما الحل عند أولئك الإخوة المختصين؟ الحل يكمن في إدخال حروف جديدة إلى البناء اللغوي للعربية. وكثيرة هي الحروف التي يقترح البعض (إقحامها) في الضاد ومنها : **گ پ چ**... وغيرها.

يزعـم البعض أن اللغـات المتطورة التي تتوخى لنفسهـا درجة كافية من التجدد والحيوية تتجه إلى تطوير منظومة الحروف لديها، بما في ذلك إضافة أو ابتكار حـروف جديدة. هكذا يزعمون، وهكـذا يظنون. ونحن نعلم جميعـاً أن مجامعنا اللغوية قطعت في هـذه المسألة برفضها المطلق إدخال أو ابتكار أي حـرف في المنظومة اللغوية للعربية، لأسباب عديدة ومن أهمها أنهـا لغة معياريـة حققت (اكتمالاً مستقـراً) في بنائها اللغـوي. مع تقرير المجامع بأن الكلمات الأجنبية تنطق بأقرب الحروف العربية إليها، وهكذا تحـل مشكلة النطق بتلك الكلمات، وهي ليست مشكلة عويصة، والعربية ليست بدعـاً، فكل لغات الدنيا تعجز عن نطق كل الكلمات الأجنبية كما هي في لغاتها الأصلية. ومما يؤسف له أن بعض الداعين لمثل تلك المبادرات اللغوية الخطرة يرشقون المجامـع اللغوية والعلماء الذين يتصدون لمثل تلك (الرخـاوة اللغوية) بالتشدد والجمـود، وليس صحيحاً مـا يزعمه البعض -مثـلاً- بأن اللغـة (من موضوعات الوصـف كالتشريح، لا مجموعة من القواعد كالقانون)[1]، فاللغة العربية قائمة على قواعد معيارية مستقرة. وفي هـذا الجزء سأعرض بعض فوائد ذلك التشدد (المزعوم) والجمود (المتوهم) في سياق حضوري لذلك المؤتمر اللغوي المميز.

حـين انتهى أولئك الإخوة من طروحاتهم المؤيـدة لما أسميته بـ(الرخاوة اللغويـة) -وأرجـو ألا يعتبـوا عليّ في ذلـك- أخذتني موجة مـن التأمل

(1) حسان (2000)، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 23.

داخـل أروقة القاعة.. فجلست أنظـر ذات اليمين وذات الشمال، وألتقط الكلمات والنبرات، فتجسدت أمامي (عبقرية الضاد) وقدرتها الفائقة على توصيل الأفـكار والمعاني والدلالات فيما بيننا، وقـد توافد المشاركون في المؤتمـر من بلاد المشـرق والمغرب العربيين، وجاء آخـرون من خارج العالم العربـي، فبعضهم يدرّس في جامعات غربية، وتأملت ملياً المشهد اللغوي، وطربـت كثيراً لجودة اللغة الفصيحة المستخدمـة وسلامتها وجودتها، مع تنوع نطق المشاركـين بالضاد والتزامهم بقدر كبير مـن (الصلابة اللغوية) في جوانبها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.. نعم مدهشة أنت أيتها الضـاد في توحيد ألسنتنا وضبط كلماتنا، مع أننا متنوعون من حيث القطر والتخصـص والخلفية العلميـة والفكرية... كيف تتوافريـن –وأنت اللغة المعمرة– على كل هذا القدر الباذخ من الفاعلية التواصلية؟

إنه (التقنين الدقيق) الذي بناه العلماء الجهابذة وفق منهجية علمية صارمة، أفلحـت في تشييد (معياريـة اللغة العربية) أو ما يمكننـا تسميته بـ(الصلابة اللغويـة للضاد)، وتأملوا معي حال الضاد لو أننـا تساهلنا في تطبيق بعض الأفكار والمبادرات اللغوية التي من شأنها خرق المعيارية بطريقة أو بأخرى. تخيلوا معي أن عملية تطبيق تلك الأفكار والمبادرات قد بدأت قبل مئة سنة مـن عقد ذلك المؤتمر اللغـوي، فكيف يمكن لنا أن نتخيل واقع اللغة العربية في جلساته؟ مؤكد بـأن التخيل صعب للغاية، ولكي أقرب الصورة –كما أراها– فسوف ألجأ إلى الصورة المجازية التالية:

يطـرح البعض أفكاراً ومبـادرات لغوية من شأنهـا -في رأيهم- تعضيد المرونـة اللغوية للضـاد وزيـادة حيويتها العصريـة، ولذلك فهـم يؤيدون تطبيقهـا وإن كان يؤثر سلباً على معيارية الضاد (الصلابة اللغوية)، فالمرونة والحيوية مطلب ملح كي تبقى اللغة وتزدهر في استجابتها لتحديات العصر ومتطلباتـه. هكذا يقررون، وما علموا أن تلك الأفكار والمبادرات ستخلق شرخاً كـ(رأس المثلث) في (السطح الزجاجي) للغـة، والحياة الاجتماعية والثقافيـة بحراكهـا وتنوعهـا ستجعل طـرفي الشرخ ينمـوان في اتجاهين متجافيين، ليوسعا من ثم (الفجوة اللغوية)، وليسهما في ضعضعة المعيارية وخرقها باستثناءات متزايدة؛ يـرى كل فريق بأنها مبرَّرة ومحقِّقة لقدر جيد مـن المرونة والحيوية، وذلك كلـه سيقودنا إلى التباعـد والتنافر في الألسن والأساليـب والتراكيب والأصوات والـدلالات.بمرور الوقت، الأمر الذي قـد يدفع (المعياريـة الأم) إلى ولادة قيصرية لمعياريات عربية فرعية مشوهة، مـع تلبسها بالبعد القطري لكل بلـد أو ناحية جغرافية. وهذا يعني انجرارنا المحتـوم إلى (تشظـي هوياتي)، أو لنقـل: (هويات ناطقـة فرعية). وتلك هـي بداية النهاية للضاد المعيارية المحافظة علـى (هويتنا اللغوية الجماعية)، لا سمح الله.

وهذا ما يجعلني أشدد على خطورة (الرخاوة اللغوية) وحتمية التمسك بـ(المعياريـة) أو (الصلابة اللغوية). طبعاً، ما سبق، لا ينفي الحاجة الماسة إلى بـذل جهود بحثية وفكريـة وإعلامية وتربوية تستهـدف تفعيل خصائص الضـاد في البعـد التركيبي والصوتـي والأسلوبي والـدلالي لجعلها تتفاعل

بشــكل أفضل في سيــاق المستجدات والتحديات العصريــة، خصوصاً أننا نعيش في ثورة معرفية تقنية هائلة.

ولإيضــاح معالم أخــرى من خطورة (الرخاوة اللغويــة)، أشير إلى الفرق البيّن بين الفعل الكتابي في المشهد البحثي والفكري العربي والفعل الكتابي في المشهد الصحافي العربــي، فالمشهد الأول أخذ بحظ كبير من (الصلابة اللغويــة)، مما صان (الهوية اللغوية الجماعية) وعضّد قدرتها التواصلية فيما بين العرب المعاصرين في حقل الكتب والبحث العلمي والفكري، في حين اكتفــى المشهــد الصحافي بقدر قليل مــن تلك الصلابة، الأمــر الذي أدى إلى جعــل الصحافة العربية تتلبس بقــدر كبير من (اللغة القطرية) (=تشظي هوياتــي)، مما يقلل من فهم العربي المعاصــر للصحافة القطرية خارج بلده، مــع وجود درجــة من التقارب في اللغة الصحافية بــين بلاد المشرق العربي مــن جهة، وبلاد المغرب العربي من جهــة أخرى. وكل ما سبق من عوامل وظواهــر وحيثيات وأمثالها كثير ليؤكد على ضــرورة التمسك بـ(الصلابة اللغويــة)، إن كنا نــروم لغة موحِدة لنا، ومعلية لشأننــا الحضاري، ومعززة لاقتصادياتنا العربية؛ وفق منظور تنموي تكاملي إستراتيجي.

ويمكــن لي تناول مسألة (الرخــاوة اللغوية) في سيــاق اللغات الأخرى، ولتكــن (اللغــة الأقوى) في الراهــن المعيش، وهــي اللغــة الإنجليزية. فقد خلصــت إلى نتيجة خطيرة، مفادها: (القوة تفنــي ذاتها)، واللغة الإنجليزية هــي أنموذج لما أزعمه. خلاصة القول في هــذا الجزء أنني أذهب إلى أن قوة اللغــة الإنجليزيــة سبب لإفنائها، كيف هــذا؟ قد يبدو هــذا الأمر مضحكاً

للبعضـ ومثيراً للاستغراب وربما السخرية أيضاً. في الفترة الماضية انشغلت كثيراً بالتفكـير بمسألة استشراف مستقبل المعرفة، لإيماني بأن ذلك المستقبل له انعكاسات كبيرة وخطيرة على مشروعنا النهضوي على كافة المستويات الوطنية والقوميـة، وقد خلصت إلى نتائج قد يكون لها شيء من القيمة في ذلك السياق الاستشرافي، وأثناء اشتغالي بتلك المسألة تأكّد لدي عناد مسلمة (دورة الحيـاة) وصحتها المطلقة إزاء كل ما هو كائن حي أو ما هو شبيه به. أي أن الكائن الحي يولد ويبدأ ضعيفاً ثم يترقى في سلم التطور والقوة إلى أن يصل إلى مرحلة النضج، حيث يأخذ بالضعف التدريجي في سيرورة حتمية إلى الفناء، هذه مسلمة في حق جميع الكائنات الحية. ويصدق ذلك على ما يشبه الكائنات الحيـة إلا أنها لا تصل إلى الفناء بالكلية وإنما هو اضمحلال جوهري مؤثر، وبعد ذلك تعاود النشاط والحركة والنمو في دورة جديدة؛ لها مواصفاتها وحيثياتها ومساراتها.

وفي رأيـي أن اللغة -أي لغة إنسانية- هي شبيه بالكائن الحي، حيث أنها تتقلـب في أطوار من الـولادة والتطور والقوة والنفـوذ والشيوع والنضج ومن ثم الضعف والتضعضع والاندحار والانكماش والجمود والأفول وفق مفهومي الدورات الحضارية والغلبة الحضارية، وأحسب أننا قد لا نختلف كثـيراً حول ما سبق، طبعاً بخطوط عريضة، ولكن يبقى السؤال الحرج: ما الـذي جعلني أختار اللغة الإنجليزيـة بالذات للخروج بهذا الاستنتاج؟ وما الذي أعنيه بالفناء؟ هنا نكون قد وصلنا بيت القصيد، وجوهر الفكرة التي أود طرحها.

مــن الثابت أن اللغة الإنجليزية إحدى أبرز اللغات التي تتعرض لتغير كبير كل فــترة زمنية معينة، ومؤكد بأنها تعيش مرحلة قوتها وفتوتها في المرحلة الحضاريــة الراهنة، غير أننــي أود الإشارة إلى ما هو أبعد من مجرد تغيير كبير يلاحــق الإنجليزية ويجدد أبنيتها اللغويــة، فالقضية في نظري تتجاوز ذلك التغير إلى نوع من الفناء الجزئي الجوهري الذي تعرّض الإنجليزية نفسها له، كيف ولماذا؟

دعــوني أوضح هذا الأمر بشكل مباشر. لقد أصبــح جلياً لنا أن الإنجليزية استطاعــت قهر الكثير من اللغات الأوروبية القوية داخل حدودها القومية، وقــد فرضت نفسهــا عالميــاً باعتبارها لغة العلــم والأعمــال[1]، ليس ذلك فحســب بل بكونها لغة التقنية وهــذا الأخطر، فقد اتصفت اللغة الإنجليزية بـ(مرونة مدهشة) وأصبحــت أداة طيّعة، ولغة تختصر وُترمّز بطريقة سهلة وميسّرة، فأنت تكتب عــدة حروف إنجليزية لإيصال رسالة طويلة؛ فتغنيك بذلــك الاختصــار عن استخــدام مفــردات لغوية وجمل طويلــة، وبقالب مفهوم لأطــراف الاتصال، أي أنهــا أتقنت (لعبة الاختصــارات) وبرعت في الترميز والتشفير.

ويعتقد بعضنــا وربما الأكثرية أن تلك الصفــة (أي مرونتها) سمة إيجابية تتفــرد بها اللغــة الإنجليزية بشكل كبــير، فمرونتها تسهّــل الخطاب وتيّسر عملية التواصــل الإنساني، من خــلال التقبل السريع للكلمــات (المبتكرة)

(1) انظر مثلاً: عتيق (2011)، اللغة العربية بين العولمة والأصالة.

واستخدام الاختصارات والترميزات المشفّرة، وربما يرمي البعض منهم لغتنا العربيــة بالجمودية والاستعصاء على الاختصار والترميز، وذاك أمر سلبي في نظرهم، وقد يتوهمون بأن ذلك معيق لها عن الحركة والتطور في فضاء العلم والتقنية. غير أن الأمر -في نظري- ليس كذلك البتة، فمرونة اللغة الإنجليزية مؤذن بهلاكها، كيف؟ يصدق على اللغة الإنجليزية أنها -واسمحوا لي بهذا الوصــف- (لا ترد يد لامس)، أو لنقل (لا ترد لسان ناطق)، فالواقع يشهد بأنها تتقبل كلمات دخيلة أو (مخترعة)، يحدثها أو يجود بها عالم أو مفكر أو شاب أو (فنان راب) أو حتى راقص في نادٍ ليلي، والواقع يشهد بصحة هذه الملاحظة، بــل البحث العلمي الرصين يؤكد مثل هذه الظاهرة، التي تعرف بظاهرة (ابتكار الكلمات) Neologism (ابتكار كلمة جديدة أو معنى جديد لكلمــة قديمة). ففي الأدبيات العلمية، نجد باحثاً غربياً -هو البروفيسور ألن ميتكلــف[1]- يقدّر بأن الكلمات الجديدة التي تصــاغ يومياً في الإنجليزية تقــارب عشرة آلاف كلمة، طبعاً هــو لا يزعم بأن جميع تلك الكلمات يتم الاعــتراف بها كـ(مولود لغوي شرعــي) للإنجليزية ولكنها تستخدم بطريقة مــا على نطاقــات مختلفة، ومؤكد بــأن عدداً لا يستهان منهــا تنتزع (صك الاعــتراف اللغوي). وهنا يمكننــي استدعاء فكرة ظريفة مــن نظرية تدعى (نظريــة الموجات) التي تشــير إلى أن التغيرات اللغوية تنبثق من المركز لتصل إلى الأطــراف بذات الطريقة التي تنتشر فيها موجات الماء عند سقوط حجر

(1) Metcalf (2002)، Predicting New Words: the Mystery of Their Success

في بركـة المـاء[1]، أي أن التغير يتوقف بتوقف الإمـدادات من المركز، وهذا يعني أن التغير اللغوي يحتـاج إلى استخدامات متكررة، كي يثبت ويترسخ في النطاق الاجتماعي.

وضمـن (الابتـكار المشـروع) في اللغـة الإنجليزيـة –بوصفهـا لغة غير معياريـة– تقبل التراكيب والأساليب الجديدة حتى لو كانت مخالفة للقواعد الصحيحـة. ولعلـي أضرب على ذلك مثالاً واقعيـاً. جمعني غداء في ولاية كاليفورنيـا –في شهـر نوفمبر 2012– ببروفيسور أمريكـي وآخر ألماني مع بعض الأصدقاء السعوديين، وانجر الحديث إلى اللغة. وفوجئت بالبروفيسور الألمـاني يقول بأن كلمات كثيرة إنجليزيـة خاطئة بدأت تستخدم على نطاق واسع ويصعـب تخطئتها، ثم واصل الحديث مستشهـداً باستخدام متزايد للكلمـة الخاطئة badest (=الأسوأ)، إذ الصحيـح كما هو معلوم worst[2]، وهنـا تدخل الأمريكي ليقول: لا، هذه الكلمة خاطئة تماماً، ونحن لا نقول badest!. فـرد الألماني ولكن الآلاف باتوا يستخدمونها في الشابكة ومنهم الصينيـون (=الإنجليزية الصينية)، فما كان من الأمريكي إلا أن أذعن وقال: محتمـل Probably، وراح يكمل طعامه الشهـي (معكرونة مخلوطة باللحم والخضروات وأشياء أخرى).

وما ينطبق على ظاهرة (ابتكار الكلمات) ينطبق تماماً وربما أكثر على حركة الترميز في اللغة الإنجليزية، فهي تشهد استخداماً مكثفاً ومتزايداً للاختصارات

---

(1) عبدالباري (2010)، الأبعاد الاجتماعية لظاهرة الضعف اللغوي.

(2) الصحيح استخدام : bad–worse–worst، التي تعني: سيئ – أسوأ – الأسوأ.

لا سيمـا في عالم التقنية وفضاء (المجتمعـات الافتراضية)، ومنطقي أن ذلك كلـه سيؤدي إلى حالة من شيوع تلك الاختصـارات وغلبتها لدى الأجيال القادمة بطريقة تكـون على حساب الكلمات والجمـل والتراكيب اللغوية السليمة، وسيزداد هذا الأمر بمرور السنين، لتجد اللغة الإنجليزية نفسها بعد فـترة زمنية –مئة سنة أو أكثر– محاطة بسيل كبـير متلاطم من الاختصارات التي تجود بها أعداد متزايدة من البشر الذين يفتقدون في حالات كثيرة أبسط قدرات الاختصـار والكبسلة اللغوية بطريقة صحيحة، وستتصدق شعوب الأرضـ قاطبة على تلـك اللغة بمزيد من الاختصـارات التي تحمل قدراً من عدم الدقة وربما التشوه، وسيحل كثير من تلك الاختصارات محل الكلمات والجمـل والتراكيب، في سيـاق الكتابات في عالم الشابكـة (الإنترنت) في البداية (خاصة للكلمات الصعبة من حيث التهجئة والقراءة)، مع انسحاب ذلـك إلى السياقات الأكثر رصانة كالتعليم والمقـالات ونحوها، وسيجهل كثير من الأجيال الجديدة مفردات إنجليزية متزايدة من حيث تركيبها وطريقة كتابتها (أي التهجئة spelling)[1]؛ مما يدفع ببعض اللغويين– المؤمنين بالمدخل الواقعي أو بالأحرى الإذعـانيPositive – إلى إقحام تلك الاختصارات في قواميس خاصة، وربما تم إدماجها في القواميس العامة في فترة لاحقة، الأمر الذي يعنـي (الشرعنة اللغوية) لاستخدام الكثير من الاختصارات باعتبارها

(1) مثـلاً البعضـ بدأ يكتب كلمة Back على هذا النحو Bak، وعوض كلمـة Doing يكتب Dng وبدلاً من Better يضعون Betta، وهكـذا كثـير وفق قوالب تغيير عديدة تعرف باسم Formation Type، وقـد زادت شبكات التواصل كتويتر من النزعة الاختزالية في اللغة الإنجليزية. (2010)، Cook. Exploiting linguistic knowledge to infer properties of neologism

مكونات لغوية سليمة أو فعالة أو مقبولة على أقل تقدير، وكل ذلك سيكون علـى حساب البناء اللغوي والمفردات السليمة والتراكيب والقواعد، فضلاً عـن الدلالات والمعاني، فهـي مرشحة للتبدل السريع، بـل لتشوهات قد لا يملك المجتمع المتحدث بالإنجليزية السيطرة عليها.

وأنا حين استخدمت مصطلح الفناء فإنني لا أقصد البتة أن اللغة الإنجليزية سـوف تتعرض لحالة من الفنـاء الكامل، ولكنه اضمحـلال شديد وتشوّه موجع، وأحسب أنه سيكون لذلك انعكاسات خطيرة على مسارات العلم والتقدم للمجتمعات الناطقـة بها ولغيرها أيضاً، وأرجو ألا يعتقد أحد بأن ذلـك الأمر -على افتراض التسليم بدقة الاستنتاج- سيحدث بعد سنوات قصـيرة، حيث أن التغـيرات اللغوية الكبـيرة تتطلب فـترات زمنية طويلة جداً، كما أن ذلك السيناريو يخضـع لمبدأ التدرج البطيء. ومؤكد أن هذا الاستنتـاج يصعب البرهنة عليه؛ نظراً لنزعتـه الاستشرافية التي لا تخلو من النزعة الفلسفية، ومن ثم فتكذيب ذلك قد لا يستغرق أكثر من ثانية واحدة وقد لا يكلف أكثر من أن (يدلع) البعض لسانه، في حين أن تصديق ذلك قد يستغرق سنيناً طويلة، ويتطلب بحوثاً علمية دقيقة[1].

ومـن جهة ثانية يمكن القـول بأن استعصاء اللغة العربيـة على الاختصار والترميـز وفق ما يمكن نعته بـ(المرونة اللامعياريـة) المشابهة لما يحدث للغة الإنجليزية، ليس سمة سلبية لها، بل إنه مقوِّم رئيس للحفاظ على تلك اللغة

(1) يمكـن النظـر إلى ما قام به مارك ديفيز، حيث أسس مدونة للغة الإنجليزية المستخدمة في أمريكا من 1810-2009م، وفيها إمكانية تتبع التغيرات على خارطة اللغة، سواء في التراكيب أو الأساليب أو الكلمات.

الجميلـة الخالـدة، فهي تجبرك على استخـدام مفرداتها وجملهـا والالتزام بتراكيبها وقواعدها المعيارية، ليس ذلك فحسب بل التغزل بأساليبها وإبراز مفاتنها... مع قدرتها المبهرة على اختـزال المعنى وإيصاله بأقل الكلمات. ولقد أعجبني استشهاد بعض الباحثـين بكلمة (سألتمونيها)، وتساءل كم من الكلمـات الإنجليزية تكفي لترجمتها؟ وهي الكلمة التي تتضمن الفعل والفاعل ومفعولين اثنين[1]. فمـا أشد ذكاءك يا لغة الضاد وما أعصاك على الاستدراج لحلبة المرونة اللامعيارية والاختصارات والترميزات المهلكة.

4. عدم مجابهة الخطاب المشوّش على الهوية الناطقة

هنالـك خطاب فكري يشوّش علـى هويتنا الناطقة بأكـثر من أسلوب، بمناسبـة وبدونها. وحـين ألوذ بكلمة (مشوّش) فهـذا لا يعني البتة الاتهام أو محاكمـة النوايا والمقاصد، وإنما تتبع مـآلات الخطاب، فالانعكاسات قد تكـون سيئة للغايـة بغض النظر عـن بواعثها، وهذا ما يدعـو إلى مجابهته. هـذا الخطاب له مرتكزات فكرية يرى أصحابه أنها (صائبة) أو على الأقل (عملية)، فعلى سبيل المثال يحذّر البعض –وأنا معهم– من خطورة (تسوير الهويـة) بغية عزلها وتوهـم القدرة على المحافظة عليها مـن أي خدوش، أو التوسـل بفكرة المؤامرة[2]، ويميل البعض –بشـيء من النزق– إلى اعتبار

(1) الترابي (2010)، علمية اللغة العربية وكفايتها لنقل العلوم ونشرها.
(2) العجمي (2007)، مرجع سبق ذكره.

مسألــة الهوية برمتها ضرباً من (الخطاب المؤدلج المنغلق)[1]، ويسهب ذلك الخطاب في الحديث عن مسألة يتوهم أنها مغيّبة عن الآخرين، والتي تتركز حول تبعيــة اللغة للمستوى الحضــاري للأمة (تقوى اللغــة بقوة الحضارة والعكس صحيح)، وهي تحيل بشكل مباشر أو غير مباشر إلى مقولة العلامة ابــن خلدون[2] حول ميل المغلوب إلى تقليــد الغالب، في سياق يُفسِّر ويبرر تراجــع اللغة العربية أمــام اللغات الأخرى القوية، جــراء العامل الحضاري الــذي يفرض لغتــه وثقافته، شئنا أم أبينا. وفي سيــاق مشابه، يعالج (ديفيد كريستــال) مسألة متى تكون اللغة معولمــة Global Language؟ ويؤكد في تلك المعالجة على أن تلك المسألة لا تخضع لعدد المتحدثين بها بل بنوعيتهم، كما أنهــا لا تخضع لتركيبة اللغة ولا لسماتها ومميزاتهــا، وإنما لميزان القوة الحضاريــة، ويضرب على ذلك مثالاً، في اللغــة اللاتينية حيث كانت اللغة الأهــم حينــذاك لا لأن الرومان كانوا الأكثر عــدداً ولا لأنها هي الأفضل، وإنما لأنهم كانوا الأقوى[3].

المنطــق الذي يستخدمه الخطــاب المشوّش يتكئ علــى الفكرة الخلدونية الصحيحة –وأمثالها– وهي مسلّمة نقطع جميعاً بصحتها[4]، غير أنها شديدة

---

(1) انظر: برهومة (2012)، مرجع سبق ذكره.

(2) ابــن خلــدون يقــرر بأن (لغات أهل الأمصــار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيــل الغالبين عليها، أو المختطــين لها)، انظر ابن خلدون، المقدمة، ص 379.

(3) Crystal (2003)، English as a global language

(4) هــذه المسألــة محسومة، وقــد قال بها كثيرون، ومنهم ابن حزم حيــث يقول: (إن اللغة يسقط أكثرهــا بسقوط دولة أهلها، ودخــول غيرهــم عليهم في مساكنهــم، أو بنقلهم عن ديارهــم واختلاطهم بغيرها)، انظر: ابن حــزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 31.

الاختزال، وقد تجاوزها كثيراً العلم الحديث في اللسانيات في جوانب عدة. وهنـا أشدد على أن الفكرة الخلدونية لا تقـرّر (الاستسلام اللغوي) بحكم الغلبـة الحضارية للآخر. بـل إننا نجد ابن خلدون نفسـه في سياقات عديدة يشيـد بجهود حماية اللغة العربية، ومن ذلك قوله في مقدمته: (.. وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام، إلا قليلاً يقع تعليمه صناعياً بالقوانين المتدارسـة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمـن يسره الله تعالى لذلك، وربما بقيـت اللغة المصرية بمصـر والشام والأندلس بالمغرب لبقـاء الدين طلباً لها، فانخفضت ببعض الشيء، وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبقَ له أثر ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تُكتب باللسان الأعجمي، وكذا تدريسه في المجالس)[1]. وهنالك شواهد تطبيقية معاصرة كثيرة ومتنوعة جداً. ومنها جهود القائمـين على أعمال الترجمة والتعريب، فهـم لم يستسلموا بحجة (الخمـول الحضاري) بل اجتهدوا وأتعبـوا أنفسهم في إيجاد المقابل العربي الملائم للألفاظ الأعجمية. وهنا نستذكر ما كتبه (يعقوب صروف) و(فارس نمـر) –صاحبا مجلة المقتطف– حول استبعادهما إيجاد ترجمة عربية لكلمة (تلفـون) وحتى لو وجدت فلن تطرد الكلمة التي تعبر عن روح الاختراع، وراحـا يقولان: (ونرى الآن أننا أحسنـا لأننا لم نخالف أمم العالم في الإغارة علـى اسم وضعه مخترع هذه الآلـة لآلته وإبداله باسم نضعه نحن لها، وقس على ذلك: الفونوغراف والميكروفون والأتومبيل)[2]، ونحن نرى في الواقع

(1) ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص240.
(2) الضبيب (2001)، مرجع سبق ذكره، ص 116.

المعيش أن كلمة (هاتف) باتت شائعة ودارجة، وأن كلمة (سيارة) قد تغلبت على (الأتومبيل) أو (الموتر). فماذا يعني هذا؟

إذن، ومع الإيمان بمسألة الغلبة الحضارية، نؤمن في الوقت ذاته بضرورة معاضدة اللغة العربية في هذه الأزمنة الحرجة التي صنعناها نحن بتخلفنا الحضاري وكلالتنا التنموية، الأمر الذي يستوجب التصدي لكافة العوامل التي قد تضاعف من أدواء اللغة العربية وتزيد تضعضعها وانكماشها داخل حدودها السيادية، فضلاً عن الحدود المعولمة المفتوحة التي يجب أن تلعب العربية فيها دوراً محورياً باعتبارها إحدى اللغات العالمية الكبرى.

ويضغط الخطاب المشوّش باتجاه لون من (الاستسلام اللغوي)، ويصيح بنا صباح مساء: أن ألقوا أسلحتكم واعترفوا بالهزيمة الحضارية، وكفوا عن خطاباتكم (العاطفية) وتأجيجكم (الدوغمائي) وغيرتكم اللغوية (الرجعية)، ودعوا اللغة العربية وشأنها، لتدفع لا محالة ضريبة تخلفنا وانحطاطنا، بما في ذلك ابتلاعها للألفاظ والمصطلحات الأعجمية التي تصنعها المجتمعات المبدعة، وما عليكم سوى التمتع بالاستهلاك الثقافي، إلى حين يقظتكم الحضارية. هكذا هو الخطاب المشوّش الذي يعتمر أحياناً قبعة (الواقعية) أو (البرغماتية) أو (الليبرالية) أو (التقدمية) أو ما شابه.

والأكثر إيلاماً في هذا الخطاب هو الادعاء بالنزعة العلمية أو المعالجة الفكرية المعمقة أو الواقعية العقلانية، مع أنه في حقيقة الأمر خلو من كل ذلك، فالأبحاث العلمية والمعالجات الفكرية والواقعية المعقلنة كلها تتضافر لتأكيد أهمية (الفعل الثقافي) في حماية اللغة وصيانتها في أوقات ضعفها

وهـزال حضارة أهلهـا، أما في أوقات النفوذ الحضـاري فاللغة حينذاك لا تحتـاج إلى كبير جهد في مجال الحمايـة والصيانة، نظراً لتشغيل اللغة لكامل مكناتها الدفاعيـة والهجومية/ البنائية والوقائية. ويمكـن لي تعداد شواهد كثيرة تبرهن على صحة ما تقدم، غير أني أكتفي ببعضها طلباً للاختصار.

تفيد دراسات عديدة بـأن الإنسان مجبول على الدفاع عن هويته الناطقة (=لغته)، وتلك الدراسات تجعلنا نقرر –باطمئنان كافٍ– فطرية الافتخار اللغوي وتدعيـم (الأنفة اللغوية)[1]، التي تدفع الإنسـان إلى الاعتزاز بلغته الأم، وتعلمها والحذق فيها، ليس ذلك فحسب، بل ممارسة الإبداع داخل معجمهـا وأبنيتهـا التركيبيـة والدلاليـة والأسلوبية والصوتيـة. ومن تلك الدراسات، ما أورده عالم اللسانيات (ديفيد هاريسون) في كتابه القيم (عندما تموت اللغات) حيث أشـار إلى لغة (الأس)، وهي لغة إحدى قبائل سيبريا، وذكـر أنه في عام 2003 كان عـدد المتحدثين بها 30 شخصاً فقط، ثم ساق قصـة تحكي إصرار أحد آخر المتحدثـين بلغة (الأس) وهو (فاسيا جابوف) الذي يجهـر بـ(لن أتخلى عن لغتي. لا أزال أتحدثها)[2]، مبيناً الدور الفعال لأمه بالقول: (لقد أخبرتني أمي أنه يتحتم علينا أن نتحدث لغتنا، لغة الأس.. فلنـدع الروس يتحدثون الروسية ولندع أبناء الأس يتحدثون الأس)[3]. ولم ينتـه الأمر عند هذا الحد، بل وجدنا أن (الوقود الثقافي) قد أفلح في تفجير

(1) طرحت مفهوم (الأنفة الثقافية) قبل عدة سنوات، وهنا أطرح مفهوم (الأنفة اللغوية) باعتبارها جزءاً من الأنفة الثقافية.
(2) هاريسون (2011)، عندما تموت اللغات، ص 27.
(3) المرجع السابق، ص 247.

طاقاته الإبداعيــة، حيث أنه لم يكتف بالتمسك بلغته والتحدث والافتخار بهــا، بل راح يطوّر نظاماً لكتابة لغته الشفاهية، على نحو يحفظها وينقلها للأجيال القادمــة. ذاك كان إزاء لغة محدودة للغاية، فما بالكم بلغة مدهشة متكاملة كالعربية، ذات الإرث الديني والتاريخي والحضاري؟. إنها الفطرة التي يحاول ذلك الخطاب المشوّش طمسها، وهيهات هيهات.

وتجــارب الأمم في غايــة الــثراء في هــذا المجــال. ومــن أبرزهــا التجربة الفرنسيــة، حيث بذل الفرنسيون كل ما يطيقــون لتثبيت الفرنسية وتأمين سيادتها اللغوية وتوسيع نطاقها، وكانوا يسوّقونها على أنها لغة (الوضوح) و(الجمــال) و(الكمال) أي (لغة الحضــارة)، وقد حصّن الفرنسيون لغتهم بسياج منيع من الحمايــة والصيانة منذ وقت مبكر، ومن ذلك ما نص عليه القانون الصادر عام 1794 من أن (اللغة الفرنسية هي الأمة الفرنسية)[1]. مع وجوب ملاحظة أن اشتغال الفرنسيين على ترسيخ هويتهم الناطقة كان في أوقات محنتها أيضاً بما تتضمنه من تعددية لغوية ضارة، فعلى سبيل المثال يذكر (شارل دوبوفل) (من كبار اللغويين في عصر النهضة) في كتابه الصادر عام 1533 أن بلاد الغال (فرنسا) كانت تعاني من وجود لغات محلية عديدة على نحــو يضعف الفرنسية ويوهنها، وقد اقتصرت إجادة الفرنسية على سكان باريس والطبقات الغنيــة في شمال فرنسا مع شيوع الجهل بالفرنسية لدى الأكثرية، حيث كانت تفشو الأمية واللغات المحلية بجانب اللغة اللاتينية[2].

---

(1) بلحبيب (2012)، مرجع سبق ذكره.

(2) الحامد (2012)، فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها.

ومـن مؤشرات تجذّر (الأنفة اللغوية) لدى الفرنسيين التشريع الذي وضعته الأكاديمية الفرنسية (مشابهة لمجامع اللغة) الذي يعتبر أن استخدام أي كلمة إنجليزيـة لها مـا يقابلها في الفرنسيـة مخالفة قانونية، حتى مـع شيوع تلك الكلمة الإنجليزية. والأمثلة في باب حماية الأمم الحية للغاتها كثيرة[1].

إذن، الدفـاع عـن اللغة العربية مجـدٍ في نكباتها وأيامها المـرة، والتاريخ والواقع يثبت بأن حقن الثقافـة ببعض الأفكار مفيد للغاية، ومنها ما يتعلق بـ(الغـيرة اللغوية) و(الاعتزاز اللغوي) و(الأمن اللغوي) و(الأنفة اللغوية). وتشـير دراسة تطبيقيـة إلى أن فكرة استحالـة ترجمة القـرآن الكريم وإنما تقريـب معانيـه، دفعت بالكثير من غـير العرب من المسلمـين إلى الاقتناع بضرورة تعلم اللغة العربيـة، والأهم من ذلك أنها رسخت لديهم اتجاهات رافضة لمقولة أن غير اللغة العربية يمكن أن تكون لغات مشبعة لاستحقاقات (الهوية الدينية)[2].

ويشير بحث تطبيقـي إلى أن أغلبية الشباب العربي المهاجر في أمريكا – بحسب عينة البحث– يرى أنه من الضروري تعلم اللغة العربية كي يكونوا قادريـن لا على قراءة القرآن بطريقة صحيحة فحسب، بل على فهم معانيه بشكل دقيق أيضاً، كما خلص ذلك البحث إلى أن من أهم العوامل التي تعين المهاجرين العـرب على المحافظة على لغتهم الأم وتعزيـز (الولاء اللغوي) هو القـرآن الكريم، ثم تأتي عوامـل أخرى ومن أهمهـا: القنوات المتلفزة

---

(1) الجرف (2004)، اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم.

(2) op. cit.Jaspal and Coyle (2009)

(كالجزيرة) والصحف والمجلات، وتلعب الشابكة (الإنترنت) دوراً أقل في هذا الشأن[1]، ويؤمن أكثرية الشباب بأهمية تطوير جميع المهارات اللغوية (القراءة والكتابة والمشافهة والاستماع).

وتشدد دراسة أخرى على أهمية الفكرة القائلة بـ(قداسة العربية) في اتجاه تعزيز ارتباط الأجيال باللغة العربية[2]، ومع إمكانية قبول تلك النتيجة إلا أنني أشترط عدم المغالاة في ذلك الشعور، والتوقف عند الحدود التي تعزّز (الافتخار اللغوي بالضاد)، وما يرتبط بذلك من المكونات والمفاهيم التي أومأت إلى بعضها، أي أننا لا نجوّز لأنفسنا ازدراء اللغات الأخرى كما كان يذهب اليونانيون –مثلاً– عند وصف لغات الآخرين بأنها كنباح الكلاب ونقيق الضفادع، أو كما يفعل اليهود حين يستحلون اقتراف جريمة الكذب بغير العبرية[3]. ونحن في هذا لسنا بدعاً من المجتمعات، فقد أكدت مجموعة من خبراء اللغة في اجتماع لليونسكو في آذار 2003 استهدف مناقشة تعزيز اللغات المهدَّدة على ضرورة (خلق الظروف الرامية إلى الاستخدام النشط لتلك اللغات والاطلاع عليها، وتعزيز افتخار المجتمعات المحلية بالتحدث بلغاتها وثقافاتها)[4]. نحن نؤمن بهذا لجميع اللغات فكيف باللغة العربية؟ ولذا فلا غرابة إن نحن قمنا برصد بعض جوانب تميز هذه اللغة وعبقريتها.

بالحق نطقَ المستشرق الفرنسي (لويس ماسينون) (1883–1962) حين

---

(1) op. cit. Seymour–Jorn (2004)

(2) op. cit.Jaspal and Coyle (2009)، وانظر: علوي (2007)، نحن واللسانيات.

(3) علي (1994)، مرجع سبق ذكره.

(4) طعيمة (2008)، اللغة العربية بين مهددات الفناء ومقومات البقاء والجدل حول واقعها المعاصر، ص 92.

قـرر بأن اللغة العربية تمتلك تركيباً داخلياً فريداً يُعين على التجريد والنزوع إلى الكليـة والشمول، وهي سمات لغوية محفّزة على أرقى أنواع التفلسف والتفكير، وكذا فعل مواطنه وزميله في الاستشراق (ريجيبلاشير) (1900–1973) حـين شدّد علـى أن كل من يتحدث العربية فإنه يمتلك لغة حضارية مميزة[1]، والعربية عندنا إنما هي اللسان وليست العرق، كما في القول النبوي المأثور[2]؛ الـذي انحاز إلى الثقافة بتراكميتهـا وإنسانيتها وجافى العنصرية بسطحيتها وهمجيتها.

وفي السياقـات الدوليـة الحديثة، يؤكـد باحث غربي أن مـن حق اللغة العربيـة أن تكـون ضمن (سلة اللغات الإسبانيـة الأخرى) المعترف بها في دستور 1978 (مرحلة ما بعـد المستبد فرانكو 1939–1975)، ويبدي ذلك الباحـث استغرابه الشديد من إقصاء العربية من تلـك (السلة اللغوية) على الرغم من أنها عاشت ما يقارب 900 عام، وقد شهدت إسبانيا مرحلة (كان الشباب المسيحيون يتفاخرون فيها بإتقانهم للعربية)، وقد كان لها السيادة اللغويـة التامة في الأندلس لعدة قرون[3]، ومن ثم فيمكن القول بأن العربية قد أثّرت في بنية اللغة الإسبانية والثقافة الإسبانية في مناحٍ لا يمكن إنكارها أو حجبها بغربال التعصب الثقافي و(التمييز اللغوي).

ومن جهـة أخرى، ذكر البحـث السابق، معوقات إقـرار العربية ضمن السلـة اللغويـة الإسبانية، ومن بينهـا: النظرة التاريخية للعـرب على أنهم

---

(1) طعيمة (2008)، مرجع سبق ذكره، ص 93.

(2) منهـا مـا يروى عن النبـي العربي الأكرم –عليه الصلاة والسـلام– (يا أيها الناس إن الرب واحـد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي).

(3) op. cit، p. Plann ،370 (2009)

(غـزاة)، والتنميط الحالي للعرب المهاجرين وعـدم الثقة فيهم، بما في ذلك عقـدة (الإسلامفوبيا)، إلا أنه شدد علـى ضرورة اعتبار العربية ضمن تلك السلـة، مقرراً بـأن (الحقوق اللغوية هي حقوق إنسـان)، وداعياً إلى إعادة تعريف (اللغـات الإسبانية الموروثـة)، حيـث كان الأندلسيون المسلمون والمسيحيون واليهود يتحدثون بالعربية لقرون متطاولة[1].

وحـين نأخـذ في الحسبـان كل ما تقدم، يتضـح لنا أنه يجـب التصدي بالصرامة والفطنـة الكافية للخطاب المشوّش علـى هويتنا الناطقة في كافة المنافذ التي يجهد ذلك الخطاب لإيصال رسالته (التخديرية)، التي تبدو في بعضـ الأحايين وكأنها (طابور خامس) يجهـد لأن يفت في عضد الضاد ويوهن (النضال اللغوي) و(المناعة اللغوية)، وبخاصة أنه خطاب ينشط في الإعلام الجديد بما فيهـا شبكات التواصل الاجتماعي كشبكة تويتر وفيس بـوك وما إلى ذلك، مما يعني وصولـه إلى الفئات الشابة التي قد تتأثر ببعض أطروحات ذلك الخطاب.

---

(1) op. citPlann ،(2009)

الفصل الرابع

تعزيز هويتنا الناطقة في مسارات مختارة

مدخل

اللغـة قبـل أن تكـون أداة تواصل بين البشـر والمجتمعـات والثقافات، هـي أداة لبنـاء وصيانـة وتنمية وتطـوّر الهويات على المستويـات الفردية والجماعيـة. نعم، اللغة في جوهرها ليست هـي فقط الحروف والكلمات التي ترمِّز الأفكار والمشاعر والأشياء من حولنا، وإنما هي قوالب (هوياتية–فكريـة) تنقل ما تنتهـي إليه ثقافة فـرد أو جماعة نحو الأفـكار والمشاعر والأشيـاء في شكل رموز لفظية في دلالات وأجراس؛ بما يلبي الاحتياجات والمقاصد، ويتناغم مع الملابسات والظروف. وهذا يعني أن اللغة تستجيب لـ(طلبـات الثقافة)؛ في شكل (منتجات دلالية)، فالثقافة التي يتعامل أهلها مـع الإبل بطريقة مكثَّفة –كالعرب– تجعلهـم ينحتون الكثير من المفردات اللغوية التي تعبر عن استخدامهم والتحام حياتهم بها، وثراء تلك المفردات يقـوم على توصيفها وفق شكلها أو جنسهـا أو مراحل عمرها أو وظائفها أو أماكنهـا، وقـد عكس القرآن الكريم تلك الحقيقـة حيث احتوى وحده علـى ثلاثة عشر اسماً للإبـل، وحين يكابد أهل ثقافـة معينة عانت مجابهة الثلج –كالإسكيمو– فإن لغة تلك الثقافة تخلق كلمات كثيرة غير مترادفة، لتتمكـن من العيشـ والصمود أمام هجمات هذا النـوع أو ذاك من الجليد القاسي، والثقافة التي تُعلـي من شأن الحب تبتكر (لغتها) مفردات متنوعة

وثريـة لتعكس الاتجاهات والحالات والمواقف حيـال الحب بكل أشكاله؛ ومـن هنا فلا نبالغ حين نقرر بأن اللغة هي أحد أهم أبعاد (البصمة الثقافية) للمجتمعـات والشعوب، فما بالنا نتقاعس عن إعـلاء شأن هويتنا الناطقة وحمايـة بصمتنا الثقافيـة؟ وللأسـف الشديد، وصل الحـال بنا في بعض السياقات إلى اتخاذ قرارات ومواقف تجعلنا نستطيب (التفكير بلغة الآخر)، علـى نحو يورطنا بتبعية لغوية ثقافية مستدامـة، فنستهلك مفرداته وقوالبه الفكرية التي استجابت لاحتياجات ثقافته وتناغمت مع مقاساتها، ويستمر هو في الابتكار والأستاذية ونرضى نحن بالتقليد الأجوف والتتلمذ البليد.

المدارسة المعمقة لمسائل الحضارة تقودنا –فيما أحسب– إلى أحد قوانين التحضر المحورية، الذي يمكن تلخيصـه بالقول: (إن أي أمة تعجز عن بناء قدر كافٍ من (الافتخار اللغوي) فإنها ستكون مضطرة لأن تتنازل عن قدر من هُويتها مساوٍ لحجم التفريـط في افتخارها اللغوي الواجب، واستمراء ذلك مُوجـب لاندثار لغتها وتشوُّه ثقافتها). وتـزداد احتمالات ذلك في وقت تتزايد فيه الأخطار الحقيقية التي تهدد اللغة العربية، وقد سقت –فيما سبق– أدلة وشواهد متنوعة تعضـد هذه النتيجة، وأحسب أنها تقف قبالة وجوهنـا صباح مساء، في مظاهـر وأشكال وأساليب لا تخطئها العين ولا الأذن ولا الوجـدان. وإنـه ليحسن بـي في الجزء الأخير مـن هذا الكتاب المتواضـع أن أختمه بما عسـاه يعزّز هويتنا الناطقـة –الضاد– في مسارات مختارة، على أن أضع توطئة نظرية مكثفة، ثم ألحقها بتوصيات تطبيقية.

1. الهوية الناطقة في الفضاء السياسي

ذات يـوم، قال الرئيس الفرنسي (شـارل ديغول): (لقد صنعت لنا اللغة الفرنسيـة ما لم تصنعه الجيوش)[1]. الدول القويـة تؤمن بأن هنالك (حروباً لغويـة)، وهي تعمل من أجـل الخروج بانتصار لغـوي ساحق، ومن ذلك أن الحكومـة الألمانية –على سبيل المثال– تخصصـ المليارات لتدعيم اللغة الألمانيـة، وقـد أسست قسماً خاصـاً في الحكومة يُعنى بترويـج هذه اللغة والحفاظ عليها وتعزيز قوتها في خوض النزال اللغوي العالمي[2]. وقد برهن المسـدّي علـى دقة القول بوجود الحـروب اللغوية، عبر سـوق العديد من الشواهد، ومنها[3]:

- يسـوق عالم الاجتماع الفرنسي (بيير بورديـو) في كتابه (ماذا يعني أن نتكلـم؟) شهادة لها قيمتها تتمثـل في الثبوت القطعي بأن المحتل سعى إلى ترسيـخ نظرة دونية لدى الشعوب المحتلة إزاء لغتها القومية ودفعها من ثم لتعلم اللغة الأرقى (لغة المحتل).
- اندفع الفرنسيون إلى دعم اللغة البربرية في الجزائر إبان الاحتلال وبعده، ومن ذلك أنهم عمدوا بعـد استقلال الجزائر إلى تأسيس (أكاديمية اللغة البربرية) ومقرها باريس.

---

(1) المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص 45.
(2) عتيق (2011)، مرجع سبق ذكره.
(3) المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره.

- بادرت فرنسا بإدراج ما تسميه بـ(العربية الدارجة) أو (العربية العامية) ضمـن (لغات فرنسا) وذلك عند إقرار (الميثاق الأوروبي حول اللغات الإقليميـة ولغـات الأقليات)، ولم تكتـف بذلك بل سعـت فرنسا إلى إدخال العربيـة الدارجة كمادة اختيارية في امتحـان شهادة البكالوريا (الثانوية العامة)، وذهبت أبعد من ذلك ففي يناير 1995م جعلت العربية الدارجـة مادة كتابية تاركـة للتلاميذ خيار كتابتها بالحـرف العربي أو الحرف اللاتينـي، وتولت الباحثة (دومينيك كوبـاي) مهمة الإشراف علـى ذلك المشروع، وهـي معروفة بحماسها الكبـير للهجات العامية واستنقاصـ العربية الفصحى والنيـل منها، مع انتمائهـا المفضوح إلى اللوبي الصهيوني.
- الرئيس الفرنسـي (نيكولا ساركوزي) حين كان وزيـراً للداخلية عام 2006 تحرك لوضع ضوابط للتجنيس من بينها منع المهاجرين في الحديث فيما بينهم بغير اللغة الفرنسية.
- اللغة العربية كانت تُدرَّس في البوسنة والهرسك في مرحلة التعليم العام، وفي منتصـف عام 2002م ضغـط الأميركيون عليهم كـي يتوقفوا عن تدريسها بحجـة تطبيق برنامج شامل لمكافحة الإرهاب، فأصدر وزير التعليم هناك قراراً بوقف التدريس، هل حرك العرب إذ ذاك ساكناً؟
- هنالك محاولات أخـرى بذلت لإحلال الحـرف اللاتيني بدل الحرف العربي من قبل أطراف أخرى، ومن ذلك الجهود البائسة في الجمهورية التي صنعها الأمريكان في العراق، إلا أنها باءت بفشل ذريع كما يبدو.

- قـدّم سفيرٌ أمريكي في تونس دعوةً لشاعـر تونسي مجيد للشعر العربي الفصيـح، وهو مجيد أيضـاً للون من الشعر الشعبـي (الشعر الملحون)؛ لإقامة أمسيـة شعرية، غير أن السفير اشترط عليـه أن يلقي شعراً ملحناً فقط، فأبـى الشاعر وقال لنمزج بينهما، فرفضـ السفير وأصر الشاعر على رأيه، فأجهضت الأمسية وما وراءها!

وأنا لا أسوق مثل تلك المشاهد لمجرد إثبات عدائية الآخر للغتنا العظيمة في سياقـات عديدة، بـل للتأكيد على أن ثمة استحقاقـات كبيرة تقع على عواتقنـا جميعاً، وبالذات في المسار السياسي، فهو بيت القصيد في تدعيم اللغة العربية، والحكومات العربية مطالبة باتخاذ التدابير الكافية للمحافظة علـى (السيادة اللغوية) للضاد في حـدود مملكتها الثقافية الحضارية، لا عبر سن التشريعات فحسب، بل بتبني حزمـة متكاملة من الحلول التشخيصية والبنائية والعلاجية، علـى أن يتضمن ذلك تطبيق عقوبات رادعة لكل من يتعدى على تلك السيادة أو يخدشها بما في ذلك المحافل الدولية، خصوصاً أن بعضـ الساسة العرب باتوا يفرطون في التحـدث بالعربية وينزعون إلى استخدام اللغات الأجنبية عوضاً عنها، الأمر الذي أدّى إلى نوع من التنادي بإلغاء اللغة العربية من سلة اللغات الرسمية الدولية، لتخفيض التكاليف التي تتحملها المنظمات الدولية، مع التذكير بأن اللغة العربية قد اختيرت في 18 ديسمبر 1973 ضمن اللغات الرسمية في الأمم المتحدة (القرار 3190 للجمعية

العمومية لـلأمم المتحدة في دورتها 28)[1]، ولذا فقد اعتبر اليوم الثامن عشر من ديسمبر يوماً عالميا للغة العربية. وهو ما يجب أن يُدعم بالفعل السياسي بجانب القول السياسي، يداً بيد ولساناً بلسان وتشريعاً بآلية.

يناضـل الساسة في الدول التي تحترم نفسها من أجل الحفاظ على لغاتهم القوميـة، ومن ذلـك أن الساسة الفرنسيين على سبيـل المثال يشترطون في المرشح لليونسكو إتقانه للفرنسية أولاً. ويذكرنا المسدي بعدد من المشاهد التي انبرى فيها الساسة لحمايـة لغاتهم الأم، ومنها: أن السلطة المركزية في الاتحاد السوفيتي أقرت في مطلع القرن العشرين (حملة التنقية اللغوية) لحماية اللغـة الروسية. وحين رحل المحتل اليابـاني عن كوريا وكان قد منع تداول اللغـة الكورية إبان احتلاله، صدر أول مرسوم كوري بحظر اللغة اليابانية، واستدعي الشيوخ لتلقين الأطفال والشبـاب لغتهم القومية، وبعد انتصار (هوشي) في فيتنـام أعاد الوهج للغتهم القومية، وأعلـن (فَتنمة المدارس)، فطلب أساتذة الطب إمهالهم بعض سنوات للانتقال إلى الفيتنامية، فأنظرهم تسعة أشهر. وفي الصين عمد (ماوتسيتونج) إلى اعتماد توحيد اللغة الصينية بإقـرار أن على كل صيني أن يتحدث (اللغة الخانيّـة) وهي لغة بكين، وأن يـدع ما سواها، أما جهود اليهـود في إحياء العبرية بعد اندثارها فهي أشهر من أن تذكر.

---

(1) أبو غريبة (2012)، مرجع سبق ذكره.

ومن مصائبنا في العالم العربي الربط المبالغ فيه بين إتقان الخريجين للغات الأجنبية وبالـذات الإنجليزية وحصولهم على وظائف جيدة، نظراً لتفريط المتنفـذ السياسي في هـذا المجال وتركه حبل الشـركات والمؤسسات على غـارب اللغـات الأعجميـة، ومن مؤشرات ذلـك ما خلصت إليـه دراسة تطبيقية عربية[1]، حيث تشير إلى أن ما يقارب 93٪ من الخريجين (بحسب بيانات العينة المكونة مـن 200 طالب وطالبة في الإمارات العربية المتحدة، وفي جامعة الشارقة تحديداً) يعتقدون أن إتقان الإنجليزية شرط للظفر بوظيفة ملائمـة، بل إن 34,5٪ منهم يرون بأن اللغـة العربية غير مجدية في التعليم، كمـا أنها غير صالحة للعمل في نظـر 33,5٪ من هذا الجيل العربي الشاب.

ولنـا -إذن- أن نتساءل بحسـرة: ماذا قدم الساسة العـرب في هذا العصر لدعم اللغة العربية ومواجهة مثل تلك المهددات، ومعالجة المعوقات أياً كان مصدرها ونوعها؟ لديهم الكثير لينجزوه، نعم لديهم الكثير وعليهم الكثير، وأنا أضع توصيات عملية قبالتهم وقبالة المجتمعات العربية بجميع شرائحها وفعالياتها، كي تمارس الضغوط اللازمة للتطبيق:

1. إنجـاز سياسـة لغوية على المستـوى القطري والقومـي، وتضمينها في الدساتير العربية، ووضع الآليات الكفيلة بتحقيقها في أرض الواقع.
2. إكمال البعد التشريعي، مـع تأسيس أجهزة فعالة لمتابعة التنفيذ وتطبيق العقوبات القانونية بكل صرامة.

---

(1) عبدالباري (2010)، مرجع سبق ذكره.

3. تخصيص ميزانيات كافية لتدعيم اللغة العربية في كافة المسارات.
4. دعم دراسات تطبيقية ومسوحات ميدانية للكشف عن كل أنواع الاعتداء على اللغة العربية والعمل على إيقافها على وجه السرعة وبكل حزم.
5. إلزام جميع المتحدثين الرسميين باستخدام اللغة العربية الفصيحة في كافة الميادين والفعاليات الدولية ومعاقبة من يخالف ذلك، مع تبني مبدأ (لا يمثلنا من لا يتحدث لغتنا).

2. الهوية الناطقة في التعليم

لم يستضف العالم العربي مسألة (اللغة والهوية) في موائد التعليم، عدا إشارات عاطفية فضفاضة في السياسات التعليمية في بعض الدول العربية، في حين سعت دول غربية عديدة إلى استضافة تلك المسألة بكرم مشهود[1]، ومن ذلك ما يكشفه (تقرير كنج مان) البريطاني الصادر عام 1988[2]، حيث شدّد على ضرورة تطوير تدريس اللغة الإنجليزية بطريقة تفلح في تعزيز (الهوية) لدى الطلاب، وليس مجرد التركيز على أهداف أو مخرجات تعليمية.

(1) انظر مثلاً: البوشيخي (2012)، اللغة والتعليم والهوية في الدول العربية The British Government's Kingman Report، 1988.

(2) للمزيد انظر: Quirk (2007). op. cit.

تشـير دراسات عربيـة إلى أن النظام التربوي العربـي لا يسهم في غرس (الاعتزاز اللغوي) كما ينبغي للضاد، ومن ذلك دراسة الذوادي في تونس، حيث خلص إلى تقاعس النظام التربوي عن أداء تلك المهمة الجلل، مع أنه ينفي فرضية أن الازدواجية اللغوية تؤدي إلى التقليل من شأن اللغة الوطنية، ويضرب على ذلك أمثلة عدة كالمتعلمين في ألمانيا والسويد وإسبانيا وماليزيا، حيـث يولون لغاتهم الوطنية قدراً أكبر من الاعتزاز العفوي.[1] وفي الأبعاد العملية وفي قطر عربـي آخر، توصلت دراسة مصرية تطبيقية حديثة إلى أن 95,1٪ مـن الطلبة الدارسين في المدارس الأجنبية في مصر يفضّلون بشكل واضح اللغات الأجنبية ويتحدثـون بها، وقد سيطرت عليهم لدرجة أنهم لا يحسنـون مواصلـة الحديث باللغـة العربية[2]، وقد أبـدى 85,8٪ منهم (الافتخـار باللغات الأجنبية)، ليس ذلك فحسب بـل إن 86,7٪ يرون أن العربيـة لغة جامـدة ومعقدة، ولذا فـإن بعضهم يعتنق فكـرة كتابة العربية بالحـروف الأجنبية كي لا يضطرون إلى تغيـير لوحة المفاتيح حين يكونون مشتغلـين في الشابكـة (الإنترنت). وقـد أبانت الدراسـة أن تعلم اللغات الأجنبيـة قد جذّر للعادات والتقاليد الأجنبية في عقول الطلبة ووجدانهم، فـ 60,6٪يرون بأنها تغيّر مجتمعاتنا العربية نحو الأفضل (ومن تلك العادات نسبـة الزوجـة إلى زوجها في الاسم، وانفصال الأبنـاء عند سن 18، وتبني

(1) الذوادي (2005)، مرجع سبق ذكره.

(2) الانتقـال من لغـة إلى أخرى يُطلق عليه (التحول اللغوي) code–switching، وهـذا التحول شعوري إرادي، وإذا أصبح لاشعورياً لا إرادياً فإنه يسمى (التدخل اللغوي) interference، ويترتب على التدخل اللغوي تدخل ثقافي، انظر: الخولي (1989)، مرجع سبق ذكره.

العلاقـة بين الأولاد والبنات كمـا هي في المجتمع الغربـي)[1]. ومثل هذه الدراسة تؤكد بجلاء على أن السياسة التعليمية لا تأبه بمسألة (اللغة والهوية)، وقد أوصت بوجوب إخضاع تلـك المدارس للرقابة المباشرة لوزارة التربية والتعليم وعدم تعليم الأطفال اللغات الأجنبية قبل تعلمهم لغتهم الأم[2].

وانتهت دراسة عربية أخرى –طُبِّقت في الإمارات العربية– إلى أن النظام التعليمي لم يفلح في تقليل منسوب الخجل لدى الطلبة عند استخدامهم للغة العربية الفصيحة، كمـا انتهت إلى أن 76,5٪ من عينة الدراسة من الشباب الجامعـي تقوم بعملية مزج اللغة العربية بكلمات أعجمية وتراكيب غريبة، إمـا لضعف قدراتهم في العربية أو للوجاهة الاجتماعية، مع شيوع أن اللغة العربيـة هي لغة أدبية وليسـت لغة علمية وذلك بحسـب 54٪ من أولئك الشبـاب. وفي اتجـاه إيجابي، أيَّد مـا يقارب 78٪ منهـم اعتماد مقررات إجباريـة لتعليـم الطلبة اللغة العربيـة وعلاج ظاهرة الضعـف اللغوي، مع موافقـة قرابة 60٪ على حصول الطالب على 80٪ حداً أدنى لاجتياز تلك المقررات[3]، وهذا مؤشر على إيمانهم بأن (اللغة هوية ناطقة).

مـن جهة أخرى، ثمة مسلمة يمكننا صوغهـا بعبارة موجزة: (قل لي كيف هي لغتك أقل لك كيف هـو تفكيرك)، فالفكر الإنساني لا يوجد بدون لغة، ولا يمكن له أن يتطور دون تطور اللغة ورقيها وقوتها وتماسكها، ولغة الإنسان

---

(1) سليمان (2008)، انعكاسات التعليم في مدارس اللغات على الهوية المصرية لدى طلابها، ص 129.

(2) هنالـك دراسـات مشابهة في أقطار أخرى، ففـي المغرب مثلاً، انظر: الفهري، (2012)، لغة الهويـة والتعلم بين السياسة والاقتصاد؛ مقبول (2012)، مؤسساتنا التربوية: من الحرب على العربية إلى الحرب على الهوية.

(3) عبدالباري (2010)، مرجع سبق ذكره.

تؤثر في تفكيره عمقـاً وسطحية[1]. إذن، لابد من إعادة النظر بطريقة جذرية في المنظومـة التربوية العربية من جهـة ترسيخها لهويتنا الناطقة المعينة لنا على تجويد طرائق تفكيرنا؛ شريطة أن يتم ذلك وفق منظور كلي تكاملي إستراتيجي بمـا يقتضيه من مجافاة المناظير الجزئية التي تفتّت نظرتنا لمسألة معقدة كالهوية، وتقنعنا ببعض المعالجات الهشة على أسطحها، مع توهمنا بأننا قد أدينا الواجب ودفعنا الكلفة بالتمام والكمال. إن المنظور الكلي التكاملي الإستراتيجي الذي أدعو إليه يقوم على معالجة علمية رصينة لمسألة الهوية بكافة أنواعها وأبعادها ومغذياتها ومستوياتها ودوائرها ومعيقاتها، وهي معالجة تلوذ بحقول معرفية عديدة في العلوم الاجتماعية والإنسانية ومن أهمها (علم النفس الاجتماعي)، الـذي يمكّن من استكناه مواضيع عديـدة بوشائج متعاضدة كالذات والهوية والإدراك والتعلـم والتفكـير والشخصية والاتجاهـات. ليس ذلك فحسب، فالمنظور المتوخى تبنيه يستلزم تشغيل المكنة الإعلامية داخل الفضاء التعليمي، وبطرائق تتأسس على (إدارة الشعور) و(تغيير الاتجاهات) و(تعديل السلوك) و(مجابهة الاستـلاب) و(تعميق التعلم) و(بناء الملكة)؛ بمـا يجذّر للغة العربية في القلـوب والعقول والألسن والأيـدي في مستوياتها الكفائيـة والأدائية. فعلى سبيل المثال، يمكننا تضمين مناهج العربية مقاطع مختارة من بعض الأفلام والمسلسلات الجيـدة التي تستخدم لغة عربية سليمـة (وهي مبثوثة في موقع اليوتيوب)، والعمل على توظيفها في عمليات التعلم للمهارات المستهدفة.

---

(1) انظر مثلاً: عبدالهادي وآخرون (2000)، مهارات في اللغة والتفكير؛ محمود (2012)، برنامج قائم على معايير التدريس الحقيقي لتنمية مهارات معلمي اللغة العربية الإبداعية وعادات العقل المنتج لدى تلاميذهم.

كمـا أنه من المهم العمل على إعادة صياغة أستاذ اللغة[1]، والبعض يشير إلى وجود ضعف بيّن لدى أساتـذة اللغة أنفسهم ناعتاً ذلك بـ(الأمية الجديدة)[2] التـي من آثارها أن (تدريس الفصحى يتم بالعامية)[3]. وأعيد التشديد على أن صياغة أستـاذ اللغة يجب أن تتضمن إكسابه المهارة التي تمكّنه من أن (يغرس في المتلقـي للغـة ولاءه لها وشغفه بها وحبه لها، وتذوقـه إياها، وذلك بإبراز طاقاتها الخلّاقة ومظاهر الفتنة والسحر في امتلاك ناصيتها والبعد الذاتي الذي يعود على دارسها عندما يتشربها وجدانه وتخالط فكره وعقله)[4].

تثبـت دراسات وتجـارب عديدة أن تعلم اللغة الأم عامـل أساس في جودة تحصيـل العلـوم والرياضيـات، ومنهـا دراسـات أجريـت في دول عديـدة كالفيليبين وماليزيا وأسكتلنـدا[5]، ومنها تجارب (فنلندا) و(كوريا الجنوبية)، حيث حصدتا أعلى الدرجات في المنافسات العالمية في هاتين المادتين، وتفوّقتا علـى الطلبة الأمريكان والبريطانيين والفرنسيين، وهذه الدول تدرّس بلغاتها القوميـة[6]. ومن جهة أخرى تؤكد أبحاث كثيرة على أن تعلم اللغة الأم مفيد في تعلـم اللغات الأخرى وفي تطوير القدرات الذهنيـة وبناء الهوية وصورة إيجابيـة عن الذات[7]. ولقد أكدت اليونسكو منذ وقت مبكر -1953- على

---

(1) انظـر مثلاً: السعافين (2008)، تطويـر مناهج تدريس اللغة العربية؛ النجار (2008)، تأهيـل معلمي اللغة العربية: الواقع والطموح؛ الصاعدي (2012)، مدخل في الكفايات الواجبة في أستاذ اللغة الجامعي ليواكب اللغة بالعصر.

(2) الذوادي (2007)، مرجع سبق ذكره.

(3) عبدالباري (2010)، مرجع سبق ذكره، ص 13.

(4) الصاعدي (2012)، مرجع سبق ذكره.

(5) الضبيب (2001)، مرجع سبق ذكره.

(6) مجلة المعلم (2009)، أثر تدريس الإنجليزية والاستعانة بالكوادر الأجنبية على اللغة والهوية الوطنية.

(7) op. cit.Plann (2009)

أن أفضـل لغة يتعلم بها الأطفال هـي (اللغة الأم)[1]، وأوصت منظمة الصحة العالميـة بتدريس الطب وعلومه باللغة الأم[2]. وتشـير دراسات عديدة إلى أن كفاءة الطالب في اللغة العربية تزيد من تحصيله العلمي في المقررات الأخرى، ولذلـك فإنه يخصص لتعلـم العربية ما بـين 21–35٪ من إجمـالي الدراسة الابتدائيـة، مـع تشديد الاتجاهـات التعليميـة الحديثة على إحـداث الترابط والتكامـل بين تعليم اللغة وبقية المقررات[3]. وفي ضوء ما سبق، يتوجه القول إلى أننـا بحاجة قبل تطبيق قـرار تدريس الإنجليزية للصغـار إلى حزم أكبر في تطبيق التشريعات ذات العلاقة باستخدام اللغة العربية في الحياة المهنية والحياة العامة على حد سواء، كمـا أننا بحاجة ماسة إلى دراسة وتحليل وتشخيص ما يمكننـا تسميته بـ(الممارسات اللغوية الجائـرة)، مع تصميم باقة من المحفزات والمكافـآت، إضافة إلى إعداد برامج توعوية ثقافية وإعلامية متنوعة تعيد للغة العربية هيبتها ومكانتها، وتعمل على بناء (الأنفة اللغوية) لدى الكافة.

ولعلي أختم بتوصيات عملية:

1. إنجاز سياسة تعليمية تتأسس على (الاعتزاز اللغوي) الواجب، و(الأنفة اللغوية) المستحقة للغة العربية.
2. تطوير مناهج تعليم العربية عبر الإفادة من الأساليب الحديثة في تدريس اللغـات وفق فلسفة المنهج التكاملي وتعضيد كامل المهارات، وتدعيم أقسام اللغة العربية في الجامعات والمؤسسات العربية[4].

---

(1) Ibid.
(2) عتيق (2011)، مرجع سبق ذكره.
(3) انظر مثلاً: يونس (2011)، علاقة الكفاءة في اللغة العربية بالتحصيل في المواد الدراسية الأخرى في المرحلة الابتدائية.
(4) سرحان (2012)، تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية – غياب التخطيط واختلال السياسات.

3. تنفيذ دراسات تطبيقية معمقة حول (اتجاهات الطلبة) في سائر المستويات والتخصصات حيال اللغة العربية، على أن تشتمل على المكونات الثلاثة للاتجاهات: المعرفية والعاطفية والنزوعية (يسميها البعض خطأ بالسلوكية)[1].
4. تنظيم مسابقات عالية المستوى والجاذبية في علوم العربية وفنونها وآدابها لمختلف المستويات التعليمية.
5. التوسل بالمواد الإعلامية من أفلام ومسلسلات لتعضيد جانب الهوية في عقول الطلبة ووجدانهم، وجعل ذلك جزءاً من المنهاج الدراسي في التعليم العام والعالي.

3. الهوية الناطقة في الإعلام

لن يكون مكلفاً لي استدعاء الطبيعة أو الوظيفة الاتصالية للغة، بل هي أصل في عموم التعريفات والمعالجات للغة كما أوضحت في مباحث سابقة. وجلي لنا أن الاتصال يتطلب (توافر عنصري التفكير والتفاهم بين المتكلم والسامع، أو بين المرسل والمتلقي)، ومثل ذلك يستلزم بالضرورة ملاءة الأداة المستخدمة في الاتصال، ليس ذلك فحسب بل يتوجب مراعاة (دوافع الاتصال)[2]، في ظل البيئة وما تحتويه من عوامل مُعينة أو مُعيقة لإيصال الرسالة بنجاح.

نتفق جميعاً على الدور المحوري الذي يلعبه الإعلام في المسألة اللغوية،

---

(1) انظر: البريدي (2009)، نموذج تشخيصي وإطار بحثي مقترح لدراسة ظاهرة التكفير باعتبارها مهدداً للأمن الفكري.
(2) قاسم (2007)، مرجع سبق ذكره، ص 124.

إيجابـاً وسلباً على حد سواء[1]، ويقرر المسـدّي أن (البث المرئي (السمعي– البصـري) أحدث زلزالاً في السلوك الإدراكي لـدى الإنسان، فقد أضحت قناتـه مزدوجة لا بالتعاقب الزمني وإنما بالتواقـب والتوازي) الأمر الذي أثر علـى طرائق التفكير واللغة (فبأي لغة كثّفتَ التواصل الإعلامي حصلت منه علـى فائض أدائي لدى الجمهور، وعلى مردود متنام في المهارات التعبيرية)، وهنا يمكن التذكير بتخلق ما يسميه البعض (لهجات الإعلام) Medialects[2]، وبعد ذلك يتوقع المسدي أو بالأحرى والأدق يحذّر من خسارة كارثية للغة العربية في معركتها الإعلامية في العالم العربي.[3]

ويتعاظم الخطر السابـق، إن نحن وضعنا في الحسبان حقيقة هيمنة اللغة الإنجليزية على المشهد المعولم[4]، ومنها التأثير الجوهري للإنجليزية على الفضاء الإعلامـي بما في ذلك تشكيل (لهجـات الإعلام)[5]. وتشـير إحصائيات متخصصة إلى أن الإنجليزية قد ظفـرت لنفسها بـ:65٪ من برامج الإذاعة، و70٪ مـن الأفلام، و90٪ من الوثائق المخزنـة في الشابكة (الإنترنت)[6]. ومما يعزز ذلك، ما انتهت إليه دراسـة تطبيقية عربية، حيث أشارت إلى أن 83,5٪ من عينة الدراسة (200 طالب وطالبة في جامعة الشارقة بالإمارات) يفضلـون مشاهدة الأفلام الأجنبية، وميل قرابـة 30٪ منهم لمتابعة الأخبار

---

(1) انظر مثلاً: قاسم (2007)، المرجع السابق؛ المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره

(2) Hjarvard (2004)، The Globalization of Language

(3) المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص 160.

(4) Crystal (2003)، op. cit.

(5) Hjarvard (2004)، op. cit.

(6) قاسم (2007)، مرجع سبق ذكره، ص 129.

باللغة الإنجليزية، مع تقرير 94٪ بأنهم يستفيدون من وسائل الإعلام في تعلم كلمات أجنبية جديدة[1].

هويتنا الناطقة (=اللغة العربية) بحاجة ماسة إلى أن تدعم في وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، وبخاصة أنه (قد جُنّدت لحرب الفصحى فضائيات، وجُهّزت جيوش من الجهلة والحاقدين الذين وصلوا إلى درجة من التأثير في القرار حتى أقصوا الفصحى عن الصدارة في وسائل الإعلام.. فحصروا اللغة المشتركة في ركن ضيق، وأخلوها من البريق، وشوّهوا صورتها وصورة من يستعملها أو يعلّمها أو يدافع عنها، ورفعوا بجانبها راية العامية)[2]، مع دور مشبوه مفضوح يقوم به (فرسان الثقافة الكونية ومبرمجو إستراتيجيتها) الذين يجهدون من أجل (تفكيك معمار اللغة العربية في مشروع التقويض الحضاري).[3]وقد أشار المسدي إلى أن هنالك جهات غربية عديدة تقف على أهبة الاستعداد لتمويل أي عمل فني يروم استخدام اللهجات العامية، ومن ذلك ما حدث في عام 2003، حيث قدِم منتج سينمائي أمريكي إلى مدينة الإسكندرية وهو يحمل مشروع إعادة بعث مسلسل (افتح يا سمسم) بحلقات جديدة، ولم يكن لديه سوى شرط وحيد يتمثل في ألا يكون الإنتاج بالعربية الفصحى، على أن تختار أي لهجة عربية لأي قطر عربي[4].

---

(1) عبدالباري (2010)، مرجع سبق ذكره.
(2) المسدي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص 163.
(3) المرجع السابق، ص 166.
(4) المرجع السابق.

وعلى الرغم مما سبق ذكره، أجزم بأنه يتعين علينا الاعتراف بجميل صنع بعض العـرب في مجال الصناعة الإعلامية، حيث أبدعوا في إخراج سلسلة مـن الأفلام والمسلسـلات بلغة عربية مبينة، وهي أعمـال تستحق الإشادة والتكريم، سواء أكانت في السياق التاريخي من أمثال: (ربيع قرطبة)، (أبو الطيـب المتنبـي)، (الظاهر بيبرس)، (الزير سالم)، (دليلـة والزيبق)، أو في السياق المعاصر كـ(عازف الليل).

وهنالك توصيات عملية كثيرة يمكـن أن تفيدنا في تدعيم هويتنا الناطقة على المستوى الإستراتيجي والتكتيكي، ومنها:

1. تكريم الأعمال الفنية التي استخدمت اللغة العربية الفصيحة.
2. عقد منتدى دوري يستهدف حقن اللغة العربية في المشهد الإعلامي.
3. طوير آليات لدعم الأعمال الفنية التي تتبنى اللغة الفصيحة وفق ضوابط ومعايير محددة.
4. التوسـل بالإعلام الجديد وتنفيذ أفلام قصيرة تستهدف تعزيز مقومات (الاعتـزاز اللغوي)، (الغيرة اللغويـة) (مقطع يوتيوب واحد قد يكون أكثر تأثيراً من فيلم طويل).
5. تفعيـل إعلامي–ثقـافي لـ(يـوم اللغـة العربية) الـذي ترعـاه المنظمة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم (ألكسـو) وغيرها مـن المنظمات الدولية كاليونسكو.

4. الهوية الناطقة في العالم الافتراضي

يمكـن القول دون تردد بـأن المعرفة عامل محـوري في إحداث التغيرات الكبرى في المجتمعات الإنسانية المعاصرة، كما أنها تجسد تضاريس وموارد متنوعة تلـزِم أي مشروع نهضـوي أن يتفحصها ويعقلهـا جيداً؛ ليحسن اختيار الفرص ويبرع في صناعتها وليجتاز التحديات ويتحايل عليها بذكاء كاف[1]. بعض الباحثين يتجه إلى وصف البشر بأنهم (مخلوقات معلوماتية)، نظراً لتأسس معاشهم على الاشتغال بالمعلومات تحصيلاً وتحليلاً وتشغيلاً في كافة مناحي الحياة[2].

ولقد سبـق لي -في بحث آخر- التشديد علـى أن الثورة المعرفية الهائلة لهي مـن أبرز التغـيرات الجوهرية التـي أسهمت في ترسيـخ أربع سمات أساسية للعصر الحديث: التقادم السريع للمعارف والمنتجات، والتخصص، والاحتمالية فيما يخص المعرفة الإنسانية، والمعيارية أو (التوحيد القياسي)؛ وشهدت تلـك المجتمعات ظاهرة (تسليع المعرفـة) -أي استخدام المعرفة كسلعـة تجاريـة- بشكل لم يسبق لـه مثيل في التاريخ، علـى نحو جر تلك المجتمعـات إلى ما يسمـى بـ(مجتمعات المعرفة) التي تقـوم على (الاقتصاد المعرفي)[3]. ويقرر بعض الباحثين أن المعرفة والأفكار ستقودان عملية تكوين الثروة والتحديث في العقود القادمة من (مجتمع المعرفة)[4]. وتذهب دراسة

---

(1) البريدي (2011)، إدارة المعرفة: نحو منظور ثقافي حضاري.
(2) ماكجرودي (2001)، تقنية المعلومات والاتصالات في المستقبل، ص 233.
(3) البريدي (2011)، مرجع سبق ذكره.
(4) هارتلي (2007)، الصناعات الإبداعية.

إلى أن مــن سمات ذلك المجتمع المعرفي: مادته الخام هي المعلومات، وهي متسمة بالانتشار بقالب شبكــي تكاملي معقد، مع اتصاف العصر الرقمي بانتشــار المعلومات بصــورة سريعة مذهلــة، وتعذر الرقابــة على المحتوى الرقمــي[1]، مع قــرب تحقق نبــوءة (ويفيردلانكستر)[2] الــذي توقع ظهور (المجتمع اللاورقي) (=المجتمع الرقمي أو المعرفي)، وفي هذا الاتجاه، يتنبأ القياديــون في شركــة مايكروسوفت العملاقة بأنه لن يتــم نشر أي مطبوعة ورقية بعد عام 2020م[3].

مــا سبق يشكّل لوناً من النبوءات المعرفية، ويحسن بنا وضعها في جانب يقابــل نبوءة لغوية خطــيرة قال بها الكاتــبُ الإسباني المرمــوق –الحاصل علــى جائزة نوبل في الأدب عام 1989– (كاميلــو خوسيه سيلا) (1916–2002م)، حيث تنبأ بأن أربع لغات فقط هي التي ستكون قادرة على التلبس بسمات اللغات العالمية في سياق ثورة التقنية والاتصالات، وهي: الإنجليزية والإسبانية والعربية والصينيــة[4]. ويوافقه الرأي المستشرق الأمريكي (وليم ورل)، حيــث يقول إن في (اللغة العربية من اللــين والمرونة ما يمكنانها من التكيــف وفق مقتضيــات العصر، وهــي لم تتقهقر فيما مضى أمــام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كمــا حافظت عليه في الماضــي)[5]. وسندرك في ثنايا هــذا المبحث –دون

---

(1) اليعبودي (2012)، مكانة اللغة العربية بمواقع الشابكة.

(2) Toward paperless information system، Wifird Lancaster (1978)، انظر: اليعبودي (2012)، المرجع السابق.

(3) اليعبودي (2012)، المرجع السابق.

(4) طعيمة (2008)، مرجع سبق ذكره، ص 93

(5) انظر: بوشيبة (2012)، اللغة العربية والتنمية المستدامة، ص 309.

أن أتقصد التتبـع التفصيلي أو الإحالة المباشرة– أن ثمة معضّدات متضافرة على تصديق تلك النبوءة، ومن ذلك على سبيل المثال التقارير التي تفيد بأن اللغـة العربية هي الأسرع نمواً في مواقع الشبكات الاجتماعية، وقد أكدت ذلـك الدراسة الحديثة التي نشرتها شركة (سيميو كاست) وتشير فيها إلى أن عـدد المستخدمـين (المغردين) في شبكة (تويتر) في نهايـة يونيو 2012م قد ناهزوا نصف مليار، مع احتلال اللغة العربية للمرتبة السادسة على المستوى العالمي، وقد جاءت الرياض عاشر أكبر مدينة مغردة (الأولى جاكرتا والثانية طوكيـو والثالثة لندن)[1]، مـع وجود عشرات المؤشـرات الأخرى المؤكدة للنمـو الكبير لهـذه اللغة في الفضـاء الافتراضي (الإنترنـت) وفي السياق العالمـي بكافة جوانبه الاقتصادية والعلمية والثقافيـة، على الرغم من ضآلة عدد العرب إذ لا يشكّلون أكثر من 5٪ من إجمالي السكان في العالم، وهذا الأمر يقودنـا إلى التساؤل: كيف إذن يُتوقع للغة العربية أن تحقق مستويات عالية؟ لأن العربية بكل بساطة هي (اللغة الحضارية) لعموم المسلمين البالغ تعدادهم قرابة 1,5 مليار، وهي كذلك للعرب غير المسلمين أيضاً[2].

تختلـف التقديرات حول حجم المحتوى العربـي في الشابكة، فالبعض يقـدره بـ1٪[3] وهنالك تقديرات تجعله ملامسـاً لـ 3٪[4]، وهو أمر يستحق أن تبـذل فيه جهود أكبر للوصـول إلى نسبة دقيقة. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنه سمح مؤخراً لعدد من (اللغات) أن تعكس (هوياتها) في فضاء

(1) فرانس 24 (2012)، عدد مستخدمي (تويتر) بلغ نصف مليار واللغة العربية تحتل المرتبة السادسة.
(2) البريدي (2012)، لغتكم الحضارية يا أردوغان.
(3) جريدة الرياض (2011)، اللغة العربية واحدة من أسرع اللغات نمواً على الإنترنت.
(4) الجزيرة نت (2012)، 3% نسبة المحتوى العربي على الإنترنت.

الشابكة، حيث مُكّنت أن تكتب عناوين المواقع بلغاتها الأم، وهي إحدى عشـرة لغة، ومن بينها اللغة العربية، وذلك بعـد عشر سنوات من (الكفاح اللغوي) مـع الهيئة الأمريكية المختصة (هيئة إيـكان)، والتي كانت تماطل طويلاً وكانت كثيراً ما تردد: نحن مشغولون، تعلموا اللغة الإنجليزية!، وقد وصفـت بعض الدول –كالصين وكوريا وروسيا– هـذا الإجراء بأنه إنهاء لعصر (الاستعمار الرقمي للإنجليزية)[1].

الانتهـاكات اللغويـة في العـالم الافتراضي التـي أشرت سابقـاً إلى طرف منهـا، تدفعنا إلى توجيـه الخطاب لا إلى النخب بـل إلى الشباب والشابات أنفسهـم، فهم جزء من المشكلة وجزء كبـير من الحل، مع تحميلهم قدراً من المسؤوليـة، حيث يسهم بعضهـم في وأد اللغة العربية من خلال الاستخدام (الشكلي) للغة الأجنبية، بل إقحام الكلمات الأجنبية –لا سيما الإنجليزية– في نطـاق العربية واستخدامهـا كما لو كانت كلمات عربيـة سليمة. ليس ذلك فحسب، بل يتعين تجسيد الإشكالية بصورة يتفهمونها ويتعرفون على أبعادها وخطورة تفاقمها، وهذا يقتضي طرح بعض الأسئلة عليهم من قبيل: ألم تفكـروا بمآل لغتكم القومية والدينية بعد ثلاثة عقـود أو أربعة أو خمسة في حال استمـرار هذا الوضع المأساوي؟ كم عـدد الكلمات الأجنبية التي سوف نستخدمها؟ وكم عدد الكلمات العربية التي سوف نهجرها من جراء ذلك؟ مئات بل آلاف الكلمات[2]، ولكم إحصاء عدد الكلمات الأسبوعية

---

(1) البريدي (2008)، مرجع سبق ذكره.

(2) الضبيب (2001)، مرجع سبق ذكره؛ سراج (2012)، مرجع سبق ذكره.

أو الشهرية التي يتم تداولها في الوسط الشبابي في فضاء الشابكة على وجه الخصوص. ولكي لا يظن البعض أني ألقي الكلام على عواهنه، أشير إلى أن بعض الدراسات العربية تقدر أن 80٪ من العرب المشتغلين في الشابكة يستخدمون اللغة الإنجليزية لغة ثانية والفرنسية بنسبة تقارب 10٪[1].

اللغة العربية –كما أشرت سابقاً– متعرضة واقعاً لما وصفته بـ(التلبك اللغوي الحاد)، المفضي إلى إماتة الكثير من الكلمات العربية. ويمكن لبعضكم أن يقوم ببحث علمي حول هذه المسألة ولتطلعونا على النتائج حينذاك، لاسيما أن محركات البحث في الشابكة ستكون مفيدة جداً بهذا الخصوص. أنا ممن يؤمن بإبداع الشباب والشابات العرب، فلديهم من التفكير الخلاق ما يجعلهم يحققون الأهداف بصورة ذكية وفعالة وبأساليب مبتكرة، والعربية هي لغتكم وهويتكم، وهي تستنجد بكم، فهل تدعونها تغرق في بحر لجي من اللغات الأجنبية والكلمات الأعجمية؟ ألا تملكون الإرادة كي تنزعوا أنفسكم من إطار المشكلة التي تتهدد العربية لتكونوا جزءاً من الحل؟

ومع ارتياحنا لمدلولات (نبوءة سيلا) التي سبقت الإشارة إليها، إلا أنه لا يسوغ لنا أن نتعاطى معها بأذرع (الإيديولوجيا المخدِّرة)، وإنما بأذرع العلم والعقلانية والإستراتيجيا، على نحو يجعلنا مدركين ضخامة الاستحقاقات التي يتوجب علينا دفعها كاملة غير منقوصة، ولعل من أهمها:

---

(1) عباس (2010)، العرب والإنترنت – الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

أولاً: في سياق الثورة المعلوماتية أضحت (اللغة المعبر الأسمى عن الهوية الحضارية، وهي عصب المنظومة الثقافية لأي شعب من الشعوب، فلا أمل من إقامة مجتمع معرفة عربي دون تكتل عربي يتخذ من اللغة القومية والثقافة الأصيلة مرتكزين أساسيين).[1]

ثانياً: تهيمن اللغات الأجنبية في العالم الافتراضي خصوصاً اللغة الإنجليزية، مما يرسخ القناعة بأن العالم العربي بأمس الحاجة إلى أعمال الترجمة والتعريب في هذا العالم[2]، مع تأكيد اتصاف الترجمة بمقومات تعزيز الهوية[3].

ثالثاً: هنالك دعوات علمية رصينة لرقمنه اللغة العربية، على نحو يدعم المحتوى الرقمي العربي[4]، بما يستلزم من تطبيق (مبادئ الهندسة اللسانية) على اللغة العربية، وبناء قواعد بيانات للتعبيرات المسكوكة، والتراكيب اللغوية والمعاجم الإلكترونية، مع بذل جهود كافية لإتمام مشروع البصمة الصوتية العربية (وهو المشروع الذي سيقدم خدمات رقمية تضاهي ما بدأت الأمم الأخرى تطرحه في جامعاتها ومراكزها البحثية)[5].

---

(1) اليعبودي (2012)، مرجع سبق ذكره، ص 46.

(2) بحيري (2008)، الترجمة: مفهومها ووظيفتها ومحاولات توظيف الأساليب التقنية الحديثة فيها؛ الحناش (2008)، التعريب والترجمة: نحو رقمنة اللغة العربية.

(3) بركة (2012)، الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية.

(4) انظر مثلاً: الحناش (2008)، مرجع سبق ذكره؛ متولي (2010)، اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر الرقمنة؛ اليعبودي (2012)، مرجع سبق ذكره.

(5) الحناش (2008)، مرجع سبق ذكره، ص 501.

وفي ضوء كل ما سبق، أضع بعض التوصيات العملية:

1. تقديم الدعم المالي الكافي للجهود العلمية الرصينة في مجال رقمنه اللغة العربية.بمنظور إستراتيجي على المستوى القومي.
2. تأسيس (المرصد الافتراضي) الذي يقوم على فكرة الترجمة الفورية لجميع المصطلحات الخاصة بالعالم الافتراضي على نحو دينامي وبثها في الشابكة بحيث ندفعهم إلى تبنيها قبل أن تشيع المصطلحات والكلمات الأعجمية، كما هو حاصل اليوم بكل أسف، ومن ثم تكون الكلفة أكبر.
3. دعم الشباب والشابات وتحفيزهم للبدء بحملات إلكترونية مكثفة لإعادة الوهج للغتنا العربية، ولتكن هذه الحملات منوعة ومتكاملة من جهة ومستهدفة لكافة الشرائح من جهة ثانية، بما في ذلك تشجيع القنوات والبرامج التلفزيونية والإذاعية التي تعلي من شأن العربية بشكل مباشر أو غير مباشر، والعمل على مقاطعة القنوات والبرامج التي لا تصون العربية حتى في مسمياتها، فنحن نشهد حزمة من البرامج التي اتخذت بكل صفاقة أسماء أجنبية، دون خجل أو تردد، في مشهد احتضار (الغيرة اللغوية) لدينا. وفي الحملات الإلكترونية أرى ضرورة تفعيل البعد التوعوي والتعليمي أيضاً، فلو تعلّمنا كل يوم كلمة عربية فصيحة، وصحّحنا خطأ لغوياً أو حفظنا بيتاً شعرياً أو مثلاً أو حكمة عربية لاستقامت لغتنا ولتحسن أداؤنا فيها، تحدثاً وكتابة وتفكيراً.

4. تفعيل أدوات الاتصال الحديثة بما في ذلك استخدام البريد الإلكتروني ومواقع الشبكات الاجتماعية كالفيس بوك وتوتير وغيرها.
5. تأسيس جوائز على المستوى القطري والقومي تعنى بتدعيم اللغة العربية في الفضاء الافتراضي.

5. الإنكار اللغوي العلني

وفق بعض الباحثين، هنالك ملاحظات متراكمة تفيد بأن اللغات الوطنية (الرسمية) في الدول المتقدمة تتمتع بحزمة من المزايا أو الامتيازات التي تشمل[1]: استخدامها بشكل كامل على المستويين الكتابي والشفوي، احترامها والافتخار بها والغيرة عليها والحماسة للدفاع عنها، مجابهة استخدام اللغات الأجنبية فيما بين المواطنين بما في ذلك شعورهم العفوي المتدفق بمنع استعمال الكلمات الأجنبية مع اعتماد سياسية وطنية للتعاطي مع المصطلحات الأجنبية وترجمتها، والإيمان بأن اللغة هي المكوّن الأهم لتشكيل الهوية.

وحين ننظر في حال العالم العربي، فلا نجد سوى ضمور (الغيرة اللغوية) لدى شرائح عريضة، وثمة دراسات تطبيقية تؤكد هذه الملاحظة، ومن ذلك ما أشار إليه الذوادي في بحثه عن المجتمع التونسي، حيث يذهب إلى أن الأغلبية الساحقة للمتعلمين التونسيين (لا تكاد تبدي بعفوية

(1) الذوادي (2005)، مرجع سبق ذكره.

وارتياح حماساً واعتزازاً باللغة العربية باعتبارها لغتهم الوطنية)، كما أشار إلى وجـود معارضة في العهد البورقيبي لنعت اللغـة العربية بـ(الوطنية) مما (يفقدهـا الكثير من مكانتهـا ومشروعيتها في عمق بـؤرة وعي التونسيين وممارستهـم؛ إذ تكون بذلـك اللغة العربية في تصورهـم ووعيهم الشعور واللاشعور وكأنها ليست جزءاً صميماً من الوطنية التونسية).[1]

(الهويـة اللغوية) تفتقر إلى الإنكار العلني بغيـة تقوية ما يسميه الذوادي (نظـام مناعة اللغة العربيـة) ضد أي فيروسات لغويـة أجنبية، فقد ثبت أن أي لغـة إما أن يُحافَظ عليها وتصان، ومن ثـم فهي قابلة وصالحة للانتقال عـبر الأجيال؛ أو أن يتم التحول عنها، جزئياً أو كلياً[2]. ولعلي أطرح تجربة شخصيـة تتمثـل في (سلوكي الإنـكاري) في الاجتماعـات التي تعقد في مجلـس الكلية ومجلس القسم في الجامعة التـي أعمل بها (جامعة القصيم)، حيث يطغى علـى الاجتماعات استخدام اللغـة الإنجليزية وبالذات مجلس الكلية بحكـم كونه يضم أكاديميـين سعوديين درسـوا في جامعات غربية (أمريكيـة وبريطانيـة وأستراليـة)، ويتمثل هـذا السلـوك في طلبي الحازم بعـدم استخدام الكلمـات الأعجمية دونمـا حاجة، مـع مساعدتهم على ترجمة الكلمـات إلى العربية، والعجيب أنهم يعجزون بالفعل في كثير من الأحايـين عن اصطياد المقابـل العربي لكلمات إنجليزية يسـيرة من أمثال:

---

(1) الذوادي (2005)، مرجع سبق ذكره، ص 59–60.

(2) Sofu (2009)، Language shift or maintenance within three generations: examples from three Turkish–Arabic–speaking families

invitation (دعوة)، dilemma (معضلة أو مأزق)، فضلاً عن المصطلحات كـ reliability (اعتمادية أو ثبات)، وصرت أقول لهم مازحاً –وجاداً–: (دعونا نتعلم العربية من جديد!)، وقد لاحظت أن هنالك استجابة ممتازة، وأصبحوا يقولون في مثل تلك الاجتماعات: (البريدي.. موجود!) مع تلبسهم بالحيطة من استخدام الكلمات الأعجمية، وهذا يعني انخفاض ظاهرة (التدخل أو التحول اللغوي) لديهم، وهذه النتيجة الإيجابية جرأتني على اقتحام فضاء الحلقة النقاشية في الكلية وغيرها من الاجتماعات التي تعقد داخل الجامعة وخارجها، والنتائج كلها مشجعة على الاستمرار.

ومما يؤكد أهمية الإنكار العلني، أن دراسة تطبيقية أشارت إلى أن شابة فلسطينية اسمها ريم وعمرها 18 عاماً، تقول عن نفسها بأنها حين كانت صغيرة لم تكن مكترثة لتعلم اللغة العربية، وحين كبرت أدركت بأن ذلك خطأ فهي تقول : الآن، أرغب في أن أكون قادرة على استخدام العربية، لكوني فلسطينية، فأنا لا أريد أن يقول الناس عني: (فلسطينية ولكنها لا تعرف العربية، ما مشكلتها. إن العربية هي لغتي ويجب أن أتعلمها)[1]. ومحمود شاب فلسطيني، يفصح عن أنه يستحي أن يصل إلى مرحلة الشباب المتقدم ويقال عنه بأنه لا يحسن الصلاة بالعربية في المسجد[2].

وتعرض دراسة علمية كيف أن (جيل الإنترنت) من الممكن أن يستجيب لـ(إنكار الكبار) على استخدام أساليب ومختصرات لغوية غير سليمة، ومن

---

(1) Seymour–Jorn (2004)، op. cit. ، p. 115

(2) (2004)، Seymour–Jorn op. cit.

ذلــك ما وضعته بعض المنتديات من اشتراطات تمنع استخدام (لغة الدردشة المشوّهــة)، الأمــر الــذي دفع بعض الشبــاب الغربــي إلى التفاعل مع تلك الاشتراطــات، فأحدهم يقول: (يجب أن نحارب هــذه الظواهر -يقصد الأساليــب اللغوية المشوهة-. إنهــا معركة ضرورية. إننــي أرى هذا الأمر كانتصــار أخلاقي، حيث نقوم نحن المحاربــين بحملات تطهير الإنجليزية مــن هذه الحماقات)، وآخر يقــول: (للأمانة، ورغم أنني أبلغ من العمر 21 عاماً، وأستخدم التراسل الآني كثيراً، إلا أنني أتحاشى لغة النت. إنني لا أريد التعدي على القواعد الإملائية والنحوية)[1].

ويطرح الذوادي تجربة عملية أخرى، حيث يفيد أنهم أقروا على طلبتهم في الجامعــة قراءة كتاب (التخلف الآخــر)[2]، وقد كان ذلك في عام 2003 في عينة طلابية بلغــت 150، وكان من أهم النتائج: (1) تعزّز الوعي لديهم بمشروعية الاعتزاز باللغة العربية، (2) ميل عدد كبير منهم إلى تخفيض عدد الكلمات الأجنبيــة، (3) مالت أقلية إلى الامتناع شبه الكامل عن استخدام اللغة الأجنبية في حياتهم العامة.

---

(1) رابح (2012)، الهوية الرقمية للشباب.

(2) الذوادي (2002)، التخلف الآخر: عولمة أزمات الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث.

ولعلي أضع جملة من التوصيات العملية في هذا الشأن:

1. التوعيــة بضرورة (الإنــكار اللغــوي) وبمشروعيته، بالكتــاب والمقالة والبحث والطرح الثقافي والإعلامي.
2. تجسيد قدرات عملية في كافة الفضاءات التعليمية والثقافية والإعلامية والاقتصادية والسياسية، عبر التطبيق العملي لفكرة (الإنكار اللغوي).
3. تنفيــذ دراســات تطبيقية تعنــى باستكشاف أبعاد موضــوع (الإنكار اللغوي) وتحديد مقوماته ومعوقاته وسبل تدعيمه في مختلف الفضاءات.
4. تطوير برامــج تربوية داخل المدارس والأنديــة الثقافية لتأهيل الأطفال والشباب بالاتجاهــات والمهارات، بما يجعلهــم قادرين على (الإنكار اللغوي) بحرفية ولباقة كافيتين.
5. تصميم مقاطع إعلامية قصــيرة متنوعة في مواقع الاتصال الاجتماعي كاليوتيوب، مع أهمية استجلاب أمثلة وشواهد من ثقافات ومجتمعات أخــرى تتوافر على قــدر كافٍ من (الأنفــة اللغوية) بمــا يدفعها للقيام بـ(الإنكار اللغوي) بثقة وحزم ولباقة.

خاتمة

لا مناص: هُوية ناطقة أو خيبة ناطقة!

(1)

توجع لغة:

آه ثم آه يا ضاد..

توجعك أيتها الضاد يمرضني..

وذرفك النادُّ من عينك يدمعني..

إي وربي ويكربني ويربكني..

أتحسس مشاعرك الحارقة لوجداني، لكرامتي..

وأحتقر نفسي وقومي حين أسمعك بكبرياء تهمسين:

هل سئمتم حقاً مني؟

وهل خفّت مشاعر اعتزازكم بي؟

هل مللتم الدفاع عني وأنا اللغة الوحيدة المعمّرة لسبعة عشر قرناً أو يزيد، واحتفظتُ بتراكمية تراثكم أيها العرب؟

ما لي أراكم بي تستهزئون، وعن حروفي وألفاظي تشيحون وتزهدون؟

من الخاسر فينا: أنا أم أنتم؟

(2)
حقيقة لغة:

اللغـة ليست رمـوزاً للتواصل فحسـب، بل هي ملكة عجيبـة تفرد بها الإنسان عن سائر المخلوقات، ليصنّع منها أداة وقالباً، تمكّننا من أن:

1. نصون ونحمي هُويتنا الثقافية والاجتماعية.
2. نحفظ وننمي ذاكرتنا الجمعية.
3. نلبي ونشبع أذواقنا الخاصة، أدباً وفناً.

(3)
تحذيرات لغة:

1. إن الأمـة التـي لا تحافظ على لغتها الأم تستحـق المسخ والإذلال بكل أصنافه، وهي بذلك لجديرة، وستصل إليه في يوم تتذوق فيه طعم (التيه اللغوي الثقافي). فهل تروم الأمة العربية ذلك؟
2. مـن يأبى إلا مجافـاة الضاد والإيغال في استخـدام الكلمات الأعجمية في حديثه وتحليلـه، فليوقن بأنه يجرّع لغته العربية (ملعقة سم صغيرة، ثلاث مرات يومياً)[1].
3. نعـم، لا مناص، فإما أن نحافظ علـى هويتنا الناطقة أو أن نجعل خيبتنا الحضارية ناطقة.

---

(1) كما في عنوان حكاية سميح القاسم (2011).

(4)
استحقاقات لغة:

لنضع في عقولنا ووجداننا أن:

1. الجميع مسؤول معنا؛ لساناً بلسان للحفاظ على لغتتنا الدينية/القومية.
2. الجميع مسؤول معنا؛ تعبيراً بتعبير لتنمية لغتنا الحضارية ودفع كلفة عالميتها.
3. الجميع مسؤول معنا؛ لفظة بلفظة لإعانة لغتنا (=هُويتنا) على تجاوز محنتها.

إذن، دعونا نستعيد رونق الضاد في عقولنا ووجداننا ومدارسنا وبيوتنا وإعلامنا وصحفنا وشوارعنا ومتاجرنا وعوالمنا الافتراضية.. ارحموا لغة قوم ذلت..

ورضي الله عن كل الذين يؤمنون بلغتهم ويدعمونها ويدافعون عنها.. ورضي عن كل من يبني الأنفة اللغوية الواجبة تجاه لغة كاملة، ومدهشة بحق..

المراجع

- ابـن تنباك، مرزوق (1986)، الفصـحى ونظريـة الفكر العامي، الرياض: جامعة الملك سـعود، مركز البحوث بكلية الآداب، ط 1.
- ابن حزم، علي (ب ت)، الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة: مطبعة الإمام، ج1.
- ابن خلدون، عبدالرحمن (ب ت)، المقدمة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو غريبة، عصام (2012)، العولمة وأثرها على اللغة العربية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 417–486.
- أحمد، الصادق علي (2008)، حقوق الإنسان بين العولمة والهوية الوطنية، الخرطوم: مركز دراسات المجتمع، مجلة دراسات مجتمعية، العدد 2، ص 84–107.
- بحيري، سعيد (2008)، الترجمة: مفهومها ووظيفتها ومحاولات توظيف الأساليب التقنية الحديثة فيها، في: اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 509–527.
- بركـة، بسّـام (2012)، الترجمـة إلى العربية: دورها في تعزيـز الثقافة وبناء الهويـة، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- برهومة، عيسـى (2012)، اللغة والهوية.. جـدل الثابت والمتحول، الملخص التنفيذي، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- البريـدي، عبـدالله (2008)، الهجرة نحو (الإنجليـزي)... تهديد الهوية، جريدة الجزيـرة، 10 / 7 / 2008، العدد 13069.
- البريـدي، عبدالله (2009)، نموذج تشخيصـي وإطار بحثي مقترح لدراسـة ظاهرة التكفـير باعتبارها مهدداً للأمـن الفكـري، الرياض: المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، كرسـي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسـات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود.
- البريدي، عبدالله (2011)، إدارة المعرفة: نحو منظور ثقافي حضـاري مدخل اسـتشرافي فلسـفي، مجلة معهد الإدارة العامة، المجلد 51، العدد 4، ص 481–513.
- البريدي، عبدالله (2012)، لغتكم الحضارية يا أردوغان، الجزيرة نت: المعرفة، 9 / 8 / 2012.
- بغورة، الزواوي (2007)، مفهوم اللغة في فلسـفة جان بول سـارتر (1905–1980)، الكويت: مجلس النشر العلمي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، السنة 25 (99)، ص 145–174.
- بلحبيب، رشيد (2012)، فطرة الدفاع عن اللغة الأم بين التفعيل والتعطيل، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 151–203.
- بوشيبة، عبدالقادر (2012)، اللغة العربية والتنمية المستدامة، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 301–354.

- البوشيخي، عز الدين (2012)، اللغة والتعليم والهوية في الدول العربية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- الترابي، دفع (2010)، علمية اللغة العربية وكفايتها لنقل العلوم ونشرها، الجزائر: الندوة الثامنة لاستخدام اللغة العربية في التعليم العالي في الوطن العربي، ص 42–56.
- الجرف، ريما (2004)، اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم، الجمعية الدولية للمترجمين العرب.
- جريدة الرياض (2011)، اللغة العربية واحدة من أسرع اللغات نمواً على الإنترنت، 10 / 6 / 2011، العدد 15691.
- الجزيرة نت (2012)، 3 % نسبة المحتوى العربي على الإنترنت، صفحة الأخبار – منوعات، 2 / 4 / 2012.
- جمعة، حسين (2008)، وعي اللغة العربية وتمكينها حاضراً ومستقبلاً، في: اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 101–137.
- الحامد، سفيان (2012)، فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 107–140.
- حبتور، عبدالهادي (2012)، المنتديات الاقتصادية تصر على تجاهل اللغة العربية، جريدة الاقتصادية، 5 / 3 / 2012، العدد 6720.
- حسان، تمام (2000)، اللغة بين المعيارية والوصفية، القاهرة: عالم الكتب، ط1.
- الحناش، محمد (2008)، التعريب والترجمة: نحو رقمنة اللغة العربية، في: اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 469–508.
- حيدر، أحمد (1997)، إعادة إنتاج الهوية، دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1.
- حيزم، أحمد (2007)، من الهوية الجماعية إلى الهوية الفردية، جامعة الملك سعود، مقاربات في اللغة والآداب (2)، منشورات جمعية اللهجات والتراث الشعبي بالجامعة، ص 59–80.
- خسارة، ممدوح (2011)، الكتابة العلمية باللغة العربية قديماً – كتاب المناظر لابن الهيثم نموذجاً، مجلة التعريب، ع 40، ص 205–245.
- الخولي، محمد (1989)، تأثير التدخل اللغوي في تعلم اللغة الثانية وتعليمها، مجلة جامعة الملك سعود: العلوم التربوية، مج 1 (1، 2)، ص 109–128.
- داود، محمد (2001)، العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة: دار غريب، ط1.
- الدولة، خالد (2012)، آليات تحديث منطقية اللغة العربية حفاظاً على الهوية ومواكبة لعصر العولمة، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، القسم الأول، ص 100–149.
- الذوادي، محمود (2002)، التخلف الآخر: عولمة أزمات الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث، تونس: الأطلسية للنشر.

- الـذوادي، محمود (2005)، في الأسـباب والآثار لاغتراب العلاقة بين المجتمـع ولغته، الكويت: مجلس النشر العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية، مج 33 (1)، ص 55–83.
- الـذوادي، محمـود (2007)، في مخاطـر فقدان العلاقة العضـوية بين المجتمعات العربية ولغتها، في: اللسـان العربي وإشكالية التلقي، مجموعة مؤلفين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص 41–61.
- رابـح، الصـادق (2012)، الهوية الرقمية للشـباب: بين التمثّلات الاجتماعية والتمثـل الذاتي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة إضافات، العدد 19، ص 89–115.
- الرواعـي، عبدالصـمد (2012)، اللغـة الوطنية والتعـدد اللغوي، الدوحـة: المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسات، المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- رينـو، إيمانويل (2005)، التصـورات الأوروبية للهوية، في: مفاهيم عالميـة، العولمة، ترجمة عبدالقادر قتيني، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، ص 143–170.
- زايد، أحمد (2006)، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسة عالم المعرفة، عدد 326.
- زيـد الخـير، المبروك (2010)، اللغـة والهوية في الثقافة الجزائرية، الجزائر: الملتقـى الوطني الأول حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة، ص 55–70.
- سراج، نادر (2012)، الشباب ولغة العصر: دراسة لسانية اجتماعية، بيروت: الدار العربية للعلوم، ط1.
- سرحـان، هيثـم (2012)، تخصـص اللغة العربية وآدابهـا في الجامعات العربية – غيـاب التخطيط واختلال السياسـات، الدوحـة: المركـز العربـي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، المؤتمر السـنوي للعلـوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- السعافين، إبراهيم (2008)، تطوير مناهج تدريس اللغة العربية، في: اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 201–236.
- سعودي، نواري (2012)، اللغة، الفكر والهوية في زمن عولمة القيم، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 371–426.
- سـليمان، طـلال (2008)، انعكاسـات التعليـم في مدارس اللغات علـى الهوية المصرية لدى طلابها – دراسـة ميدانية بالتطبيق على خريجي مدارس اللغات من طلاب جامعة حلوان، مصر، جامعة حلوان: مجلة دراسـات تربوية واجتماعية، مج 14، ع 3، ص 111–148.
- الشـقران، حنان (2012)، العلاقة بين أنماط التنشئة الأسرية وتحقيق المراهق لهويته النفسية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث: العلوم الإنسانية، مجلد 26 (5)، ص 1079–1098.
- الصـاعدي، عبدالعزيز (2012)، مدخل في الكفايات الواجبة في أسـتاذ اللغـة الجامعي ليواكب اللغة بالعصر، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الأول، ص 95–158.
- صالح، إبراهيم (2006)، علم النفس اللغوي المعرفي، عمّان: دار البداية، ط1.
- الصُـيّاغ، فايـز (2012)، إشـكالية الهويـة وثنائيـة اللغة والترجمـة في السـياق العربي المعاصـر، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسـات، المؤتمر السـنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).

- الضبيب، أحمد (2001)، اللغة العربية في عصر العولمة، الرياض: مكتبة العبيكان، ط 1.
- ضيف، عبدالملك (2008)، اللغة العربية والعولمة: سؤال الهوية، الأردن: المؤتمر النقدي الحادي عشر لقسم اللغة العربية لكية الآداب بجامعة جرش، ص 385–369.
- طرابيشي، علي (2008)، مناهج اللغة العربية وتأكيد الهوية الثقافية العربية الإسلامية، مصر: المؤتمر العلمي العشرون (مناهج التعليم والهوية الثقافية)، مج 4، ص 1336–1349.
- طعيمة، رشدي (2008)، اللغة العربية بين مهددات الفناء ومقومات البقاء والجدل حول واقعها المعاصر، في: اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 57–100.
- عباس، بشار (2010)، العرب والإنترنت – الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، doc.abhatoo.net.ma/IMG/doc/16mai_10.doc.
- عبدالباري، أسامة (2010)، الأبعاد الاجتماعية لظاهرة الضعف اللغوي، شؤون اجتماعية، ع 106، س 27، ص 9–48.
- عبدالهادي، نبيل، وأبو حشيش، عبدالعزيز، وبسندي، خالد (2000)، مهارات في اللغة والتفكير، عمّان: دار المسيرة، ط 2.
- عبدالواحد (2007)، اللسان العربي: الحاضر والآفاق، في: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مجموعة مؤلفين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص 63–80.
- عتيق، عمر (2011)، اللغة العربية بين العولمة والأصالة، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع 22، ص 361–390.
- العجمي، فالح (2007)، دور اللغة في التنميط والتعصب للهوية، جامعة الملك سعود، مقاربات في اللغة والآداب (2)، منشورات جمعية اللهجات والتراث الشعبي بالجامعة، ص 11–57.
- العربية نت (2010)، تزايد الإقبال على تعلم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الأمريكية html.128970/09/12/2010http://www.alarabiya.net/articles/2010/12/2
- العطية، أحمد (2008)، اللغة العربية: قضايا الواقع والمعاصرة، في: اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 33–55.
- العظمة، عزيز (2005)، سؤال ما بعد الحداثة، في: مفاهيم عالمية، العولمة، ترجمة عبدالقادر قتيني، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، ص 13–30.
- عكاشة، رائد (2012)، دور اللغة في تشكيل الشخصية والهوية والبناء المعرفي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، القسم الثاني، ص 67–140.
- علوي، حافظ (2007)، نحن واللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، في: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مجموعة مؤلفين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص 83–121.
- علي، نبيل (1994)، العرب وعصر المعلومات، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسة عالم المعرفة، عدد 184.
- العنزي، فلاح (2006)، علم النفس الاجتماعي، الرياض: مطابع التقنية للأوفست، ط4.
- عياشي، منذر (1991)، قضايا لسانية وحضارية، دمشق: دار أطلاس، ط1.

- عيد، محمد (2002)، الهوية والقلق والإبداع، القاهرة: دار القاهرة، ط1.
- الغامدي، حسين (2001)، تشكل هوية الأنا لدى عينة من الأحداث الجامحين وغير الجامحين في المملكة العربية السعودية، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية: المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مجلد 5 (30)، ص 182–213.
- غيثري، سيدي (2010)، اللغة العربية مقوم من مقومات الهوية الإسلامية في مواجهة العولمة، الجزائر: الملتقى الوطني الأول حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة، ص 71–76.
- فرانس 24 ((2012، عدد مستخدمي (تويتر) بلغ نصف مليار واللغة العربية تحتل المرتبة السادسة، 31 / 7 / 2012.
- الفهري، عبدالقادر الفاسي (2012)، لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد – نماذج لتدبير التماسك والتنوع والتعدد، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- قاسم، رياض (2007)، اللغة والإعلام: بحث في العلاقات التبادلية، في: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مجموعة مؤلفين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص 123–144.
- القاسم، سميح (2011)، ملعقة سم صغيرة، ثلاث مرات يومياً، منشورات إضاءات.
- القاسمي (2008)، علم المصطلح، بيروت: مكتبة لبنان، ط1.
- كولماس، فلوريان (2000)، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسة عالم المعرفة، عدد 263.
- ماكجرودي، جميس (2001)، تقنية المعلومات والاتصالات في المستقبل، في: هكذا يصنع المستقبل، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط 1، ص 229–248.
- متولي، ناريمان (2010)، اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر الرقمنة، لبنان: المؤتمر الحادي والعشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم)، ص 857–903.
- مجلة القافلة (2007)، تغريد العصافير يتمدن، المجلد 56، العدد 3، مايو / يونيو 2007.
- مجلة المعلم (2009)، أثر تدريس الإنجليزية والاستعانة بالكوادر الأجنبية على اللغة والهوية الوطنية، دبي، العدد 158، مايو، ص 38–41.
- محمود، صفاء (2008)، تصور مقترح لمقرر اللغة العربية لغير المتخصصين في تدريسها في ضوء أبعاد الهوية في نظرية (فيرث) اللغوية، مصر: المؤتمر العلمي العشرون: مناهج التعليم والهوية الثقافية، مج 4، ص 1290–1334.
- محمود، عبدالرزاق (2012)، برنامج قائم على معايير التدريس الحقيقي لتنمية مهارات معلمي اللغة العربية الإبداعية وعادات العقل المنتج لدى تلاميذهم، مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط، مج 28 (1)، ص 516–611.
- المراياتي، محمد (2007)، اللغة : الهوية والتنمية، مسقط: الجمعية الاقتصادية العمانية.
- مرسي، أبو بكر (2002)، أزمة الهوية في المراهقة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط1.
- المسدي، عبدالسلام (2011)، العرب والانتحار اللغوي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
- المسكيني، فتحي (2011)، الهوية والحرية، بيروت: جداول، ط1.

- مقبـول، إدريـس (2012)، مؤسسـاتنا التربويـة: من الحرب على العربيـة إلى الحرب علـى الهوية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسـات، المؤتمر السـنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- المنصـور، وسـمية (2012)، من اسـتعمالات اللغة المحدثة (العربيزي)، المدينة المنورة، الجامعة الإسـلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 427–489.
- ميمـون (2006)، اللغـة الرسـمية والهوية الوطنيـة في ظل المجتمع المتعـدد اللغات، الجزائـر: مجلة حوليات التراث، ع 06، ص 57–61.
- النجار (2010)، اللغة وعلم اللغة قديماً وحديثاً، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1.
- النجـار، لطيفـة (2008)، تأهيل معلمي اللغـة العربية: الواقع والطمـوح، في: اللغة العربيـة والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ص 237–263.
- النجـار، لطيفة (2012)، اللغة العربية بين أزمة الهوية وإشـكالية الاختيـار، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الهوية واللغة في الوطن العربي).
- النعمان، أمير عبدالله (2008)، الهوية السـودانية: رؤية مسـتقبلية، الخرطوم: مركز دراسات المجتمع، مجلة دراسات مجتمعية، العدد 2، ص 33–56.
- هارتلـي، جون (2007) (المحرر)، الصـناعات الإبداعية – كيف تُنتج الثقافة في عـالم التكنولوجيا والعولمة؟، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، عدد 338، ط 1.
- هاريسون، ديفيد (2011)، عندما تموت اللغات: انقراض لغات العالم وتآكل المعرفة الإنسانية، ترجمة: محمد مازن جلال، الرياض: جامعة الملك سعود، ط1.
- اليعبودي، خالد (2012)، مكانة اللغة العربية بمواقع الشابكة– مقاربة أولية لتقييم المحتوى الرقمي العربي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الثالث، ص 38–115.
- يوسف، جمعة (1990)، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسة عالم المعرفة، عدد 145.
- يوسـف، محمد (2012)، مخاطر تواجه اللغة العربية في الوقت المعاصر، المدينة المنورة، الجامعة الإسـلامية: مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس، ص 289–344.
- يونس، فتحـي (2011)، علاقـة الكفـاءة في اللغة العربية بالتحصـيل في المواد الدراسـية الأخـرى في المرحلة الابتدائية، مجلة القراءة والمعرفة، ع 112، ص 22–44.

- Cook, P. (2010), Exploiting linguistic knowledge to infer properties of neologism, USA: Ph.D. thesis, University of Toronto (http: //people.eng. unimelb.edu.au/paulcook/Cook2010.pdf).
- Crystal, D. (2000), Language death, Cambridge: Cambridge University Press.
- Crystal, D. (2003), English as a global language, Cambridge: Cambridge University Press, 2nd ed.
- Gumperz, J. and Hymes, D. (eds.) (1964), The ethnography of communication, American Anthropologist , 66, (6), part II.
- Hjarvard, S. (2004), The Globalization of Language-How the Media Contribute to the Spread of English, and the Emergence of Medialects, Gothenburg University, Nordicom Review, no. 12-, p. 7597- (http: //www.nordicom.gu.se/ common/publ_pdf/157_075098-.pdf)
- Jaspal, R. and Coyle, A. (2010), Arabic is the language of the Muslims-that›s how it was supposed to be: exploring language and religious identity through reflective accounts from young British-born South Asians, Mental Health, Religion and Culture, vol. 13 (1), p. 1736-.
- Lancaster, W. (1978), Toward paperless information system, New York: Academic Press.
- Metcalf, A. (2002), Predicting New Words: the Mystery of Their Success, Boston New York: Houghton Mifflin Company.
- Pable, A., Hass, M. and Christ, N. (2010), Language and social identity: an integrative critique, Language Sciences, vol. 32, p. 671676-.
- Plann, S. (2009), Arabic: another (other Spanish language?, International Journal of Multilingualism, vol. 6 (4), p. 369385-.
- Quirk, R. (2007), Language and identity, English Academy Review: Southern African Journal of English Studies, vol. 17 (1), p. 211-.
- Seymour-Jorn, C. (2004), Arabic language learning among Arab immigrants in Milwaukee, Wisconsin: a study of attitudes and motivations, Journal of Muslim Affairs, vol. 24 (1), p. 109122-.
- Skutnabb-Kangas, T. (2002), Why should linguistic diversity be maintained and supported in Europe? Some arguments, Strasbourg: Council of Europe, Language Policy Division, (http: //www.coe.int/t/dg4/linguistic/Source/ Skutnabb-KangasEN.pdf).
- Sofu, H. (2009), Language shift or maintenance within three generations: examples from three Turkish-Arabic-speaking families, International Journal of Multilingualism, vol. 6 (3), p. 246257-.
- Vedder, P. and Virta E. (2005), Language, ethnic, and the adaptation of Turkish immigrants youth in the Netherlands and Sweden, International Journal of Intercultural Relations, vol. 29, p. 317337-.

السيرة الذاتية للمؤلف

أ.د عبدالله البريدي

أستاذ الإدارة والسلوك التنظيمي، جامعة القصيم

يؤمن بحتمية الإبداع كشرط للتحضر الحقيقي، ويعتقد بأن الإبداع يجب أن يكون منبثقاً من (الأنفة الثقافية)، كما يؤمن بأن (الثقافة صدق ممنهج).

أبرز اهتماماته الثقافية:

- المسألة الحضارية
- التشخيص الثقافي
- الهندسة الاجتماعية
- فقه التحيز
- المسألة اللغوية

بعض نتاجه (الكتب):

- قضايا في المسألة الحضارية، من تحريره، 2005، المنتدى الحضاري.
- السلفية والليبرالية: اغتيال الإبداع في ثقافتنا العربية، 2008، المركز الثقافي العربي.
- أسرار الهندسة الاجتماعية: نحو ابتكار أدوات جديدة لزيادة ذكائنا الجمعي، 2011، المجلة العربية.
- السلفية الشيعية والسنية: بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، 2013، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

العربية

يتمحور هذا الكتاب حول التوصيف الدقيق لطبيعة العلاقة بين اللغة والهوية، على نحو يسهم في الحد من المشكل الثقافي واللغوي المترتب على ما يسمى بـ(معضلة الهوية) أو (أزمة الهوية)، التي تنال منا جميعاً، عقلاً ووجداناً وروحاً وانتماء وفاعلية، في سياقات نؤمن فيها بأن اللغة عامل محوري في تشكيل هويتنا، ولكن كيف؟ وإلى أي درجة؟ وما العوامل المغذية لهويتنا؟ وما العوامل المعيقة أو المشتتة لها؟ هذه الأسئلة الفرعية وأمثالها قادت المؤلف إلى البحث عن منظور تعريفي جديد يجهد لأن يمزج اللغة بالهوية والحياة. ويجهد الكتاب في الكشف عن هذا المنظور والبرهنة عليه، واستعراض تحليلي لأهم المهددات للغة العربية في سياقات عديدة، مع بلورة بعض الحلول العملية. وقد اختار مؤلف الكتاب أن يكون مزيجاً بين الطرح الأكاديمي والفكري، ومن هنا فقد توسل بعدد كبير من الأبحاث النظرية والمفاهيمية والدراسات التطبيقية والكتب والمقالات، وحرص على المزاوجة بين العديد من الأساليب في الطرح والتناول لمسائله ومباحثه -ومن ذلك الأسلوب السردي- للوفاء بمقومات هذا النهج المهجن.